السفسطائية

وأثرها في نشأة مدارس الشك في العصر الهلنستي

إعداد:
د/ عبد الرحمن بن غالب عواجي

1438 هـ - 2017م

المقدمـــــة

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين , وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين , سيدنا ونبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم .

أما بعد ,,,

لا يمكن للتراث الفلسفي القديم ولا الاتجاهات الفلسفية الحديثة أن تكون بمعزل عن الفكر السفسطائي , بل ومازالت حتى يومنا هذا تمثل تراثا فلسفيا لا يمكن استثناؤه من المناخ الفلسفي العام(1) .

فهل تعد السفسطائية نزعة فلسفية؟ أم تعد اتجاها فلسفيا؟ أم أنها لا تعد أصلا من الفلسفة؟ .

وما هو الوجه من كل هذا الاهتمام بها عبر تاريخها ؟ , بل وفي كل مرحلة من مراحل التطور التاريخي للفكر الفلسفي لا يكاد يخلو من النزاع عند تعاطي التراث السفسطائي(2).

فما هي نوازع هذ الاتجاه ؟ وما هي معطياته ؟ وماهي مسلماته ؟

لقد اختلف الحكم على هذا الاتجاه السفسطائي بين مؤيد ومعارض , فبينما نرى فلاسفة اليونان المؤلهة كسقراط وأفلاطون وأرسطو يجمعون على ضرورة هدم هذا المنهج الهدام ويصفون أساطينه بأنهم أدعياء الحكمة وأهل الترهات والأباطيل , تبعهم في ذلك فلاسفة المسيحية كأوغسطين وتوما الإكويني، ووافقهم على ذلك فلاسفة الإسلام كالكندي وابن سينا والفارابي وابن رشد في اعتقاد بطلان هذا المنهج المغالط , ويصفونه بأنه ليس له غاية سوى وضع الأغاليط وعدم اليقين بشيء , وإرادة الشك لأجل الشك , فلفلاسفة الإسلام أقوال محفوظة , ومقالات مشهورة في ذم هذا المنهج السفسطائي

---

1) A Companion to Ancient Philosophy, Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:87

2) الاتجاهات الفلسفية , عرض وتحيل , رحيم الموسوي , 25

ومقته[1] , ومن العجيب , أن كل أولئك الفلاسفة الذين مقتوا السفسطة وذموا أهلها, نجد أن لديهم بعض نوازع الشك المتأثر بالمنهج الشكي السفسطائي , على اختلاف بينهم وتفاوت .

فأصحاب هذا الاتجاه الأول , يجزمون بأن المذهب السفسطائي, يورث الشك في كل القيم والمعتقدات والقوانين والأخلاق والسياسة , فلم يرض بالخير كما لم يرض بالشر, ولم يرض بالمعروف كما لم يرض بالمنكر , شكّك في المسلمات العقلية والجدليات المنطقية , ولم يأت بالبديل , فما الذي يرضي أساطين السفسطة ؟

الجواب : لا يرضيهم شيء – في نظر المعترضين عليهم –.

فهي نزعة – في نظرهم – هدمت ولم تبن , بل عمدت لعوامل البناء , وحطمتها بالحجج , فهي عملية تقويض وتقويض لأي بناء , هذا هو رأي كثير من المؤرخين في هذه النزعة السفسطائية , قديما وحديثا.

يقول سقراط في أطروحته للخطابة Antidosis مهاجما السفسطائيين : (حقا، من

---

(1) يجعل إخوان الصفا النزعة السفسطائية أحد أقسام علم المنطق وهو النوع الخامس , حيث يقولون : (إن العلوم المنطقية خمسة أنواع , أولها : أنولوطيقا , وهي معرفة صناعة الشعر , والثاني : ريطوريقيا وهي معرفة صناعة الخطب , والثالث , طوسيقا , وهي معرفة صناعة الخطب , والرابع: يولوطيقا وهي معرفة صناعة البرهان , والخامس: سوفسطيقا , وهي معرفة صناعة المغالطين في المناظرة والجدل) , حقيقة إخوان الصفا . ص215

يقول ابن رشد تحت موضوع أجناس المخاطبات : (إن أجناس المخاطبات الصناعية التي يمكن أن تتعلم أربعة أجناس : المخاطبة البرهانية , والمخاطبة الجدلية , والمخاطبة الخطابية, والمخاطبة السفسطائية) ثم يقول عن جنس المخاطبة الرابع وهو السفسطائية: (وهذه المخاطبة إذا استعملها الحكماء خصت بهذا الاسم , وإذا تشبه بها الجدليين سميت مشاغبية) ثم يعرّف أسلوب كل مخاطبة من هذه الأجناس ثم يقول عن المخاطبة السفسطائية والتي يسميها بالمخاطبة المشاغبية : (هي التي توهم أنها جدلية من مقدمات محمودة من غير أن تكون كذلك في الحقيقة) تلخيص السفسطائية, لابن رشد , ص3.

to pdf: www.al-mostafa.com

ذا الذي لا يكره أو لا يحتقر هؤلاء المدرسين الذين كرسوا أنفسهم، في المقام الأول للمجادلة، ذلك لأنهم تظاهروا بالبحث عن الحقيقة في حين أنهم في بداية حياتهم المهنية يحاولون مباشرة خداعنا بالأكاذيب؟ ذلك لأنني أعتقد أنه من الواضح للجميع أن المعرفة المسبقة بالأحداث المستقبلية لم تمنح لنا بطبيعتنا البشرية، بل إننا بعيدون تماما عن هذا العلم بالغيب)[1]

وقد اختلف فيهم حتى الباحثين المعاصرين , ففي موسوعة ديدرو الفرنسية في القرن الثامن عشر , يرى أن السفسطائي هو بمعنى "النصاب " أو" المضلل " أو "البليغ" أو "المنطقي" الذي جعل مهنته تخييب الآمال وتهتم بالفروق التافهة والمنطق الباطل والكلام الخبيث"[2]

فيرى بعض الباحثين الغربيين أن النزعة السفسطائية أظهرت بشكل بارز "التقاليد المبتذلة"، والاعتقاد بأنها "حسب الطبيعة يسعى كل شخص لمصلحته فقط" وأن الخير الأعظم هو " أن يكون لديك أكثر من الآخرين أو أن تحكم الآخرين"[3]

ويرى بعضهم أن السفسطائية ظهروا "كنموذج أولي للاضطراب"[4]

---

1) انظر: Geore Norlin, Isocrates with an English Translation (Harvard University Press,1980) pp.61

2) انظر: EncyclopédieouDictionnaireRaisonné des Sciences des Arts et des Métiers, Nouvelle impression en facsimilé de la première édition de 1751-1780, vol. 15 (StuttgartBadCannstatt: Friedrich .FrommannVerlag, 1967).

3) Leo Strauss, Natural Right and History (Chicago: University of Chicago Press, 1953), pp. 114-17.

4) Eric Voegelin, The New Science of Politics (Chicago: University of Chicago Press, 1952), pp. 62-3; see alsoVoegelin, Order and History, vol. 2, The World of the Polis وانظر:

⇦ =

لقد رأى أصحاب هذا الاتجاه أن السفسطائية متناقضة في ذاتها , فجعلت الإنسان معيار الأشياء ومركزية قبولها , ومع ذلك هاجمت أفكاره ومسلماته , إنها نزعة تؤدي إلى الجنون وتوقف الفكر –كما يراها منتقدوها – . ولذلك يتملك اليأس بعض الباحثين في دراسة وعرض آراء الشك , لأنها كما يقول ديفيد بيرلنسكي[1] : (مسألة الشك هذه هي إلى حد كبير مسألة مزاج , ومن النادر أن تتعضد أو تدحض بالحجج)[2].

وفي المقابل , نجد أن هناك مؤيدين لها , حيث يصفون السفسطائية بأنها نزعة أدت إلى تحرر العقل من قيود الأساطير وأعتقت الفكر من ربق عبودية الخرافة , بل كان لها القدح المعلى في ثورة سقراط وأفلاطون وأرسطو على نظريات الفلاسفة السابقين عليهم في نظرتهم للكون والإنسان والعقل .

كما يقول برتراند رسل عن السفسطائية: "إن الكراهية التي تعرض لها السفسطائيون لا من غمار الناس وحدهم , بل من أفلاطون وسائر الفلاسفة اللاحقين , كانت ترجع إلى حد ما إلى تفوقهم العقلي"[3].

فأصحاب هذا الرأي يرون أنه لولا سفسطائية الشكاك لما تحرر فلاسفة العقل من التبعية لخرافات اليونان وأساطيرهم, ولما أعادت للإنسان مكانته ومركزيته , ولما جعلته هو الفيصل الحكم والقاضي العدل في الحكم على الأشياء, والميزان في معيار المسلمات, ولما اعتنوا بتعليم الناس , ولما خضع الإنسان للمسلمات من غير جد وتمحيص, ولما تعلم الخطابة والكلام .

فقد نشر السفسطائيون علم الخطابة ونشروا التعليم والثقافة في جميع أنحاء اليونان

(Baton Rouge: Louisiana State University Press, 1957), pp. 267-331.

(1) هو أحد الأساتذة المعاصرين البارزين في الفلسفة , حصل على الدكتوراة من جامعة برينستون , ويدرس في عدد من جامعات إمريكا وفرنسا , انظر: مقدمة كتابه .

(2) وهم الشطان , ديفيد بيرلنسكي , David Berliski, Devil's Delusion ص180

(3) تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل, الكتاب الأول , ص 145

وأوجدوا دافعا كبيراً لدراسة الأفكار الأخلاقية التي جعلت من تعاليم سقراط أمرا ممكنا[1] .

فهي – في نظرهم – " لم تكن حركة هدم بقصد الهدم المجرد وإنما كانت حركة هدم لبناء من جديد"[2].

ولذلك يصور بعض الباحثين الغربيين المعاصرين أن السفسطائيين برزوا كأبطال وليسوا كأوغاد, وأنهم " أقرب إلى الليبراليين المعروفين" , ويصفهم بعض الباحثين بأنهم كانوا "أوائل المنظرين السياسيين"[3]

ويتجلى هذا الاتجاه بوضوح عند فلاسفة العصر الحديث الغربيين , فنرى فلاسفة أوربا في العصور الحديثة رجعوا إلى تقرير هذا المذهب , بل رأى بعضهم كالفيلسوف هيجل[4] في محاضراته حول تاريخ الفلسفة عام **1840** م , يرى ضرورة إعادة الاعتبار لهذا المذهب والأخذ به , تبعه على ذلك جملة من الفلاسفة منهم من صرح بأقواله ومنهم من قرره بنظرياته , منهم جورج كيرفيرد صاحب كتاب " الحركة السفسطائية " عام **1981**م , حيث بدأ كتابه بسؤال عريض : ماهو السبب وراء الاستخفاف بأهمية السفسطائيين حتى الآن؟ ثم علل ذلك بعدة أسباب .

ومنهم كذلك الفيلسوف نيتشه الذي بدا مدافعا متمرسا عن السفسطائية , حين يبرر

---

(1) تاريخ الفلسفة اليونانية , وولترستيس , ص 293

(2) أفلاطون , عبد الرحمن بدوي , ص 3 والفلسفة اليونانية, محمد جديدي , ص 236 انظر : قصة الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود وأحمد أمين , ص93 و 101

(3) Eric Havelock, The Liberal Temper in Greek Politics (New Haven: Yale University Press, 1957); Cynthia Farrar, The Origins of Democratic Thinking: The Invention of Politics in Classical Athens (Cambridge: Cambridge University Press, 1988).

(4) هو أحد الفلاسفة البارزين ولد عام 1770م وتوفي عام 1831م من مؤسسي الفلسفة المثالية . انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة , ص 394

آراء السفسطائية في نفي الحقيقة فيقول : " لقد قام هؤلاء بالتسليم بالحقيقة الأولى وهي أن الأخلاق في حد ذاتها والجيد في حد ذاته ليسا من الأمور الموجودة أساسا , وهو ما يجعل التحدث عن الحقيقة في إطار هذا السياق نوعا من الخداع"(1)

وأمام هذا وذاك , نرجو أن نقف موقف القضاة العادلين , في عرض آراء هذه النزعة المهمة , وعرض حججها , واقتباس أقوال أساطينها, وبيان آثارها , إذ نقل الحقيقة كما هي , هو نصف الحكم العادل على الأشياء , ويبقى النصف الآخر في النظر والتحليل والاستنتاج .

ومن هنا , كان الرجوع إلى البحث في السفسطة هو الباعث المهم بالنسبة لي , في بيان مصادر أقوال فلاسفة الشك في كل مدرسة , سواء أكانت لدى مدارس اليونان , أم مدارس الفلسفة المسيحية , أم مدارس الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام , إذ أن هذه النزعة هي المنبع الحقيقي لكل فلاسفة الشك , يقول إميل برهيه**E BREHIER** : (لا يكفي البتة في تبيان حقيقة أية فلسفة ذكر المذاهب التي تقول بها وحسب , بل الأمر الأكثر أهمية هو فحص الروح الحقيقية التي تدعم بها هذه الفلسفة مذاهبها الخاصة , وذلك بدراسة النظام الفكري الذي تنتمي إليه تلك الفلسفة)(2)

ومن هنا , حاولت أن أبين مدرسة الشك الكبرى , أم مدارس الشك –كما يحلو لي أن أسميها – ألا وهي السفسطائية , ومن ثم أرجع المدارس المتأثرة بها إليها ,رغم اختلاف أسمائها وتحور عباراتها , وأرجو أن تكون هذه الكلمات لبنة في حائط العلم الفلسفي , مبينا لأهل الحق نزعة أهل الباطل ومنبته , وأن يكون مما يمضغ ويهضم لا أن يزدرد ,

1( ) A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:78

2( ) حقيقة إخوان الصفا , ص6

كما يقول فرانسيس بيكون[1] في أنواع الكتب : (بعض الكتب ينبغي أن يذاق , وبعضها يجب أن يزدرد , وبعضها القليل خليق أن يمضغ ويهضم)[2].

(1) فيلسوف انجليزي 1561 – 1626م , اهتم بالفلسفة التجريبية , من أبرز مؤلفاته الأروغانون الجديد . انظر : الموسوعة الفلسفية المختصر, ص 107

(2) قصة الفلسفة الحديثة , زكي نجيب محمود , ص 59

خطة البحث

الفصل الأول : تعريف السفسطة وتاريخها , وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف السفسطة.

المبحث الثاني : نشأة السفسطة وأشهر فلاسفتها.

المبحث الثالث : أسباب القول بالسفسطة.

المبحث الرابع : أهم الآراء السفسطائية وأشهر فلاسفتها.

الفصل الثاني : أثر السفسطائية في نشأة مدرسة الشك لدى فلاسفة اليونان، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشذرات الشكية لدى فلاسفة اليونان في العصر الهليني.

المبحث الثاني: ظهور فلاسفة السلب ضد موقف الاتجاه السفسطائي.

المبحث الثالث: ظهور مذاهب الشك المتأثرة بالسفسطائية في الفلسفة اليونانية في العصر الهلنستي.

الفصل الأول

تعريف السفسطة وتاريخها

الفصل الأول

تعريف السفسطة وتاريخها

وفيه أربعة مباحث: -

- المبحث الأول: تعريف السفسطة.
- المبحث الثاني: نشأة السفسطة وأشهر فلاسفتها.
- المبحث الثالث: أسباب نشأة النزعة السفسطائية وحججهم.
- المبحث الرابع: أهم الآراء السفسطائية.

ηالمبحث الأولα

تعريف السفسطة

* * * * * *

H تعريف السفسطة A

أ – تعريفها :

تسمى الحركة السفسطائية Sophisme, وكلمة السفسطائية تعني في لفظها علم الغلط , فلفظة سوفا أو سوفيا تعني العلم أو الحكمة , ولذلك يسمون صوفيين أي حكماء[1] , ولفظ "أسطا" تعني الغلط , وهي مشتقة من كلمة سوفوس بمعنى حكيم حاذق , وفي مجملها تحمل معنى الحكمة المموهة[2].

ولفظ سوفسطائي عرف في القرن الخامس بمعنى الخبير أو المدرس[3] , ويرى برتراند رسل , وول ديورانت و م.س. سيلك[4] , أن كلمة سوفسطائي كانت تعني لدى الناس في بلاد اليونان ما نفهمه نحن من لفظ أستاذ جامعي , ولم يكن اللفظ في أول أمره يحمل أي معنى

---

1) A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:77

2) المعجم الفلسفي , جميل صليبيا , 658/1 وتاريخ الفلسفة اليونانية , يوسف كرم , ص 57

3) A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:77 والموسوعة الفلسفية المختصرة , ص 191

4 **وهو أحد أساتذة الفلسفة المرموقين في جامعة أكسفورد , له كتاب** Aristophanes and the Definition of Comedy (Oxford: Oxford University Press, 2000 واسمه : أريستوفانيس وتعريف الكوميديا (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2000)

محطٍّ للكرامة , حتى قام النزاع بين الدين والفلسفة , فأدى إلى هجوم المحافظين على فلاسفة السوفسطائية ووصفوهم بأنهم تجار العلم ومخربو العقول وأعداء الدين[1].

ويرى الفارابي[2] في كتابه إحصاء العلوم أن لفظ سفسطائية يأتي من لفظين وهما سوفيا والتي تعني في اليونانية الحكمة واللفظ الثاني أسطا والذي تعني المموّه[3].

وعلى هذا المبنى يذهب الفيلسوف ابن سينا , إلى أن السفسطائي يوظف ضعف المتلقي ويضع خطابته على أساسها [4].

إذن , لقد تحول إسم السفسطائي الذي كان يعني عالما , عن معناه الأصلي وأصبح مرادفا لمعلم بعلم زائف , لا يبحث إلا عن المخادعة , ولا يستدل إلا بالزيف , وهذا هو رأي أفلاطون وأرسطو[5]

ويرجع الباحث م.س. سيلك سبب تغير النظرة إلى السفسطائيين إلى ثلاثة رموز مهمة سودت النظرة إلى السفسطائيين وقلبت عليهم ظهر المجن وهم أفلاطون وأرسطو

---

1) انظر: Geore Norlin, Isocrates with an English Translation (Harvard University Press,1980) pp. 67

2) ترجم له الذهبي في السير فقال : شيخ الفلسفة الحكيم أبو نصر ، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ ، التركي الفارابي المنطقي ، أحد الأذكياء , له تصانيف مشهورة ، من ابتغى الهدى منها ، ضل وحار ، منها تخرج ابن سينا , انظر :سير أعلام النبلاء 32/12 وقد برع في الفلسفة والمنطق والطب , انظر : الموسوعة الفلسفية المختصرة ص 208

3) انظر : إحصاء العلوم , للفارابي , ص 40

4) الاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص 27

5) Gilbert RomeyerDherbey , Les sophists, Paris, P U F , p.p4-55 نقلا عن الفلسفة الإغريقية , محمد جديدي , ص216

وأرستوفانيس[1] , وهذا الرأي له حظ كبير من النظر , إذ أن هؤلاء الثلاثة أبرز من حملوا لواء الهجوم على السفسطائية .

ب – ظهورها :

ظهرت السفسطائية في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد, على يد طائفة من المعلمين[2], وكان ظهورها في مختلف المدن اليونانية متجهة إلى تعليم الشباب الأثيني بالذات, ويرجع ذلك – في رأي السفسطائيين – لحاجة شباب تلك المدينة لهذا النوع من التعليم, وربما أيضا لمكانة أثينا بين المدن اليونانية .

وربما أيضا لوجود جملة من الأثرياء ووجهاء الامبراطورية الذين كانوا يبذلون الأموال وقد كان السفسطائيون يتقاضون الأجر نظير تعليمهم , بينما ينفي بعض المؤرخين ذلك عنهم بالكلية , أو أثبته لبعضهم ونفاه عن البعض الآخر[3], والذي يرجح أن ذلك ثابت لوروده في ذكر الكلام عن السفسطائية لدى أقدم المؤرخين[4].

---

(1) M. S. Silk, Aristophanes and the Definition of Comedy (Oxford: Oxford University Press, 2000), p. 12.

(2) A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:77

(3) انظر :تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ,د /مصطفى النشار , ص٣٣٧ Gilbert RomeyerDherbey, Les sophists,p.3نقلا عن الفلسفة اليونانية , محمد جديدي , ص218 والفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 139

(4) Geore Norlin, Isocrates with an English Translation (Harvard University Press,1980) pp.67

ويرجع البعض ظهور فكرة السفسطائية إلى ما قبل القرن السادس للميلاد , مع أن هذا الاسم لم يكن معروفا ولا متداولا في تلك الفترة , وإنما كان المتداول اسم الكاهن والعراف والشاعر والفيلسوف والحكيم والطبيب(1).

ولذلك نرى أفلاطون في محاوراته يتساءل عن معنى السفسطائي , وذلك حينما يسأل الغريب ثياتيتوس[2] عن معنى هذا الاسم , وينتهي الحوار إلى وضع ست صور مختلفة لمعنى السفسطائي وهي قناص , تاجر , بائع , صانع , مجادل , معالج(3).

وهناك من حاول توجيه هذه المعاني باعتبار أنها تُطلق عليهم للتخفي , وليس لأنهم كانوا يمتهنون تلك المهن , كما يرى بروتاغوراس(4), كبير السفسطائية , حيث نقل عنه أفلاطون أنه كان يرى أن السفسطائيين كانوا مرموقين باعتبارهم حكماء متقنين , ومغنيين وفلاسفة

(1) انظر :المعجم الفلسفي658/1

([2]) وهي شخصية وهمية جعلها أفلاطون محورا من محاور حواره في عرضه لقضية السفسطة.

(3) انظر : Platon, Le Sophiste , (Euvres completes, Tome Vlll- 3e partie) , Twxteetabli et traduit par A uguste Dies , paris , Les Belles Lettres, 1925 ,22 نقلا عن الفلسفة اليونانية ,محمد جديدي , ص 217 وتاريخ الفلسفة اليونانية , وولترستيس , ص 99

(4) سيأتي التعريف به .

وشعراء , فكانوا يتخفون تحت هذه المسميات لإخفاء سفسطتهم الممقوتة آنذاك , ولهذا فإن أصحاب هذا الرأي يعدون فيثاغورس[1] وغيره من السفسطائية[2].

وينقل أفلاطون في محاوراته رأي بروتاغوراس المؤيد لهذا الطرح , حيث يقول: (... وإني أنادي بأن السفسطائية فن عريق , ولكن المشتغلين به في الأزمنة القديمة , كانوا بسبب بغض الناس له , يختفون تسترا , تحت أسماء مختلفة , فيتخذ بعضهم اسم الشعراء , مثل هوميروس [باليونانية القديمة] Ὅμηρος **وهزيود** Ησίοδος **وسيمونيدس** Σιμωνίδης ὁ Κεῖος;c, **ويتخذ البعض اسم رجال الدين والأنبياء مثل أورفيوس** Ὀρφεύς ...)[3]

---

(1) هو أحد أبناء جزيرة ساموس , وازدهر شأنه نحو عام 532 ق م , وازدهر أمره في شتى العلوم , وكان له أتباع وله تعاليم عقائدية منها , أن تمتنع عن أكل الفول , وأن لا تمس ديكا أبيض وأن لا تكسر خبزا وأن لا تمشي في الطرق العامة ولا تسمح للعصافير أن تبني أعشاشها في بيتك وغيرها من التعاليم وقد برز في علم الرياضيات وعلم المعرفة والوجود والمنطق , انظر : الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 69

(2) وهذا القول يبدو الضعف باديا عليه , فقد كان فيثاغورس ومدرسته يجنحون إلى تعلم مختلف الفنون أول أمرهم ثم انتقلوا إلى التصوف واقتفوا آثار الزهد وكفارة النفس وطهارتها من أدران الجسد , ولا يكون ذلك إلا بالتفكير في الفلسفة والعلوم , وقالوا "بأن سبيل معرفة الأشياء يكون بمعرفة أوصافها" ولكن يشكل على ذلك أن أكثر الأوصاف ليست عامة في الأشياء , فهذه الورقة خضراء , ولكن ليس كل الورق أخضر , وهذا عام في مختلف الأشياء , وإنما هناك صفة واحدة عامة في كل شيء وهو العدد , فالعدد هو جوهر الوجود وحقيقته . فأصل الوجود هو العدد , انظر : الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص 32 وأشار إلى هذا برتراند رسل في كتابه الفلسفة الغربية , الكتاب الأول , ص 74- 76

(3) قراءات في فلسفة التنوع , د/فتحي التريكي , ص 32-33 والفلسفة اليونانية , محمد جديدي , ص 218 وهؤلاء الأربعة اشتهروا بالأدب والشعر في العصر الاغريقي , انظر : قصة الحضارة , الجزء السادس , حياة اليونان , وتاريخ الأدب اليوناني , د/ محمد صقر , ص 17-18 وص 40 وما بعدها .

ولعل أبرز من نادى بفكرة تعميم اسم السفسطائيين هو أريستوفانيس[1] Kömödia , **في سحبه الهزلية , حيث فصّل في مختلف أنواع السفسطائيين بشكل هزلي , ووصفهم بأنهم كهان أثرياء ، وممارسو فن الطب، وكسالى ذوو شعر طويل , ومرتدو الحلقان , والمغنون , وأنهم يدعون معرفة الأمور خارج كوكب الأرض، والشعراء والموسيقيون الذين لا يفعلون شيئاً , ووصفهم كذلك بأنهم "مفكرون متأملون باهتون , ورجال يجرون تجارب علمية علي البراغيث والبعوض , ويدرسون الأشياء فوق وتحت الأرض، يمارسون علم الفلك والهندسة، ويقنعون أنفسهم بأشياء غريبة– بأن السماء موقد , وأن البشر أصلهم الفحم وأن الآلهة لا وجود لها**[2] .

وفي الحقيقة , يبدو أن أصحاب هذا الاتجاه أرادوا أن يبعدوا معاني السفسطة عن كل ما يمت للفلسفة بأدنى صلة , ولذلك لا يمكن لنا أن نعتمد على هذه المعاني السابقة للسفسطائية , وذلك لأمر مهم , وهو أننا نقلناها عن خصوم السفسطائية , وليس من آثارهم[3] **, وكلام الخصم في الخصم غير مقبول , خصوصا إذا كان بينهما عداء مستفحل , كما هو الحال بين الفلاسفة الطبيعيين والفلاسفة السفسطائيين , بالإضافة إلى ذلك , كان اليونان يفرقون بين الشعراء والحكماء والرسامين وغيرهم , ولهذا يصفون هوميروس**

([1]) هو أحد الشعراء والسياسيين في العهد الإغريقي , في القرن الخامس ق , م , وقد هاجم السفسطة وكل مظاهر الانحلال في عصره ودعا إلى الالتزام بالقيم والأخلاق. انظر : المرجع السابق ص 122.

([2]) o Victor Ehrenberg, The People of Aristophanes: A Sociology of Old Attic Comedy (Oxford: Basil Blackwell, 1951).

([3]) ذلك لعدم كتابة أعلام السفسطائية أفكارهم في مؤلفات , وإنما كانت عبارة عن محاضرات تلقى للجماهير .انظر : A Companion to Ancient Philosophy , Edited by Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:78:

بالشاعر وليس بالفيلسوف , ولهذا يظهر أن الاسم المتعارف به عليهم والذي أطلق عليهم هو اسم السفسطائية .

وهو ما تنبه له بعض المؤرخين والفلاسفة كبرتراند رسل حينما يقول في دفاعه عن السفسطائية أمام أفلاطون : " فلئن رأيت أفلاطون يكرس مجهوده لتشويه حسناتهم والافتراء عليهم بالكذب , فلا تحكم عليهم بمحاوراته "(1) .

ج – مناهجهم :

يمكن القول إنه من الصعب تحديد منهج معين واحد كانوا يسيرون عليه , وتكمن الصعوبة في ذلك بسبب تنوع آرائهم ومشاربهم ومذاهبهم فلم يكن لهم إمام واحد , ولم يؤلفوا مدرسة فكرية واحدة , ولم يعيشوا في فترة زمنية محدودة , وإنما هم مشارب كثيرة , ويختلفون فيما بينهم اختلاف النشأة والتطور , يوحد بينهم أمر واحد , وهو شذوذ أفكارهم المنكرة للحقيقة المطلقة والإيمان بأن الإنسان مقياس للحقيقة(2).

وقد بنى السوفسطائيون على هذا الأساس نظريتهم التي تنكر أي حقيقة موضوعية ثابتة في هذا الوجود , وتشكّك في إمكان العلم اليقيني بأي موضوع من موضوعاته , لأن هذا

---

(1) الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 142 وانظر : K. J. Dover, Greek Popular Morality in the time of Plato and Aristotle (Berkeley: University of California Press, 1974), pp. 10-11.

(2) A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:77

العلم – في نظرهم – لا بد أن يكون علما بحقائق ثابتة مستقرة تماما , وليس في هذا الوجود ثبات أو استقرار , ويمكن حصر اتجاههم العام فيما يلي :

1 – أنه لاوجود إلا للمحسوسات , وهي في تغير وحركة مستمرة , فالوصول إلى أي حقيقة متعذر ومستحيل .

2 – أنه مادامت الحقيقة الموضوعية الثابتة غيرمتحققة في هذا الكون , فالحق بالنسبة لكل إنسان هو ما يبدو له , فالحقيقة تتعدد بتعدد الأفراد(1).

ومع نفيهم للحقيقة الموضوعية واليقين فيما بينهم , على تنوع مدارسهم , يمكن حصر الخصائص المشتركة بينهم في بعض الأمور الأخرى , لعل من أبرزها هو اهتمامهم باللغة , ومعالجتهم لإشكاليات العلاقة بين الطبيعة والقانون , وعلى هذا , يمكن اعتبارهم حركة فلسفية مهمة كما يرى الباحث الامريكي المعاصر Eduard Zeller إدوارد تسيلر(2).

(1) انظر : الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص93-94.

(2) anto-Sperper (sous la direction), philosophiegrecque, p.91 Monique C نقلا عن الفلسفة اليونانية , محمد جديدي ,ص 218 وانظر : ص28و A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp77

المبحث الثاني

نشأة السفسطة وأشهر فلاسفتها

* * * * * *

H نشأة السفسطة وأشهر فلاسفتها A

لقد نشأت النزعة السفسطائية وظهرت إبان القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد –كما سبق – , فظهرت على شكل فلاسفة لهم اتجاه يختلف عن بقية الاتجاهات الفلسفية , وظهر لهم أتباع وجماهير عريضة تنصت لآرائهم بكل اهتمام وتلاميذ دُرِّبوا لحمل لواء السفسطة في مختلف الميادين .

ولكن قبل ذلك , ظهرت شذرات شكية قبل ظهور الاتجاه السفسطائي بشكله الأخير , وكانت كالمقدمات التي قدمت لمجيء المنهج السفسطائي , حيث ظهرت عبارات شكية بشكل عدمي مطلق , لكن لم تكن تعرف على أنها مناهج معتبرة , إلا بعد ذلك بمدة من الزمن .

لقد أنجبت هذه الشذرات الشكية الفلسفية إنتاجا مميزا من الفكر الشكي المنهج الذي أطلق عليه الاتجاه السفسطائي , ويقوم عليه فلاسفة جردوا أنفسهم لخدمة هذا الاتجاه , وحملوا لواء الشك في مختلف المدارس , وعلى كل طبقات المجتمع , وقد حاول بعض المؤرخين عدّ السفسطائيين حتى أوصلهم إلى ثلاثين فردا منهم المعروف , ومنهم المشهور , ومنهم المجهول , مع الاحتفاظ بقلة من أسمائهم منهم برديكوس **prdicos** وأنطيفون **Antiphon** وكريتياس **Critias** وتراسيماخ **Thrasymaque** واوتيديم **Euthydeme** وديونيسودور **Dionysodors** وليكوفرون **Lycophron** وقليقليس **Callicles**[1].

([1]) هؤلاء أعلام السفسطائية البارزين ما بين القرن الخامس والرابع ق, م. , ينظر لتراجمهم : : **A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:86** والفلسفة الغربية , برتراند رسل, الكتاب الأول , ص 143

ويمكن أن نلقي بعض الضوء على أشهرهم وهما بروتاغوراس **Protagoras** وجورجياس **Gorgias**[1] فيما يلي :

1 – بروتوغوراس أو بروتوجوراس"Protagoras"490 – 421 ق م :

يعد من أوائل المدرسة السفسطائية , وقد اشتهر بنظريته النسبية , والتي تعدّ الإنسان مقياس كل شيء , فهو القائل : " الإنسان مقياس أن الأشياء الموجودة موجودة , وأن الأشياء غير الموجودة غير موجودة"[2].

ويرى معظم المؤرخين أن أفلاطون قد فسر عبارة بروتاجوراس على أنها تعني الإنسان الفرد وليس النوع الإنساني[3], وهذا التفسير هو ما يتوافق مع مذهب السفسطائية في قولهم بنسبية المعرفة .

---

(1) انظر : A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:77 الفلسفة الاغريقية , محمد جديدي , ص219-220

(2) انظر: J. A. Davison, "Protagoras, Democritus, and Anaxagoras," Classical Quarterly 47 (1953), pp. 33-45.
و A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:86 والفلسفة الغربية , برتراند رسل, الكتاب الأول , ص 143

(3) انظر :: تاريخ الفلسفة اليونانية , يوسف كرم , ص 46 و Paul-Bernard Grnet, Histoire de la philosophie ancienne,p.59 نقلا عن الفلسفة اليونانية , محمد جديدي , ص 220 وتاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي , د /مصطفى النشار , ص٣٥ والفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص143

فقد كانت فكرة بروتوجوراس أنه من المستحيل أن يصل الإنسان إلى معرفة موضوعية , وأن الإنسان هو مقياس كل شيء , وأن المعرفة نسبية , تتغير من فرد إلى فرد , فما يبدو لي حق فهو حق , وما يبدو لك هو الحق فهو الحق , وكلانا على حق, وأننا نعرف الأشياء معرفة نسبية تتغير من فرد إلى فرد , وهي تقوم على الإدراك الحسي(1) .

ويرى بروتاغوراس , كغيرة من فلاسفة السفسطائية بنسبية معرفة القيم الأخلاقية, أي أن الفرد مقياس الخير والشر , فالقيم والمبادئ في مجال الأخلاق نسبية متغيرة بتغير الزمان والمكان , وتختلف باختلاف الظروف والأحوال(2) , بل يرى بروتاجوراس أن القيم الأخلاقية لمجتمع معين لا تكون صالحة لمجتمع آخر , لأن تلك القيم تعاقدية بين أفراده, فكل مجتمع يسن قوانينه الخاصة به دون مراعاة لقواعد ثابتة ومحددة (3)

ويرى بروتوغوراس أيضا تعدد الفضائل والرذائل , حيث يرى إن المبادئ الأخلاقية هي اجتماعية أصلا, فهو هنا يرى أن منشأها الحس العام , ويستبعد أي قوى خارجية مؤثرة

---

(1) انظر: W. K. C. Guthrie, The Sophists (Cambridge: Cambridge University Press, 1971), p. 171,

(2) انظر: Theodore Gomperz, Greek Thinkers: A History of Ancient Philosophy, vol. 1, trans. Laurie Magnus (London: John Murray, 1901), pp. 450-1; وانظر : and Laszlo Versenyi, "Protagoras' Man-Measure Fragment," American Journal of Philology, vol. 83 (1962), pp. 178-184.

وانظر : Eric Voegelin takes in Order and History, vol. 3, The World of the Polis (Louisiana: Louisiana State University Press, 1957), pp. 294-5.

(3) انظر : الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص95

في الاتجاه الأخلاقي للأفراد فهم يدعون إلى الفردية الكاملة(1), ومن هذا المنطلق دافع عن القوانين والتقاليد والأخلاق المرعية في مجتمعه(2).

2- جورجياس :

هو أحد أبرز السفسطائيين القدماء , عاش مابين عامي 485 – 480 ق م , وقد لد في ليونتوم بصقلية , ورحل كثيرا بين المدن اليونانية(3), , وقد ألّف كثيرا من الكتب في اللغة والمنطق والخطابة والإقناع , وقد عنون له أفلاطون محاورة باسمه(4)

وتتلخص فلسفته حول ثلاث قضايا رئيسة سالبة , وقد بسطها في كتابه الطبيعة أو اللاوجود , وهي تدور جميعًا على قدرة الإنسان على معرفة أي شيء في الوجود , وهي بمثابة تطبيق لمقولة السفسطائي بروتاغوراس " الإنسان مقياس كل شيء"(5).

---

(1) انظر :الاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص 30

(2) الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص144

(3) انظر : Jacqueline De Romilly, The Great Sophists in Periclean Athens, Janet Lloyd, trans. (Oxford: Clarendon Press, 1992), p. 58-59; and George A. Kennedy, A New History of Classical Rhetoric (Princeton: Princeton University Press, 1994), pp. 20-21

(4) انظر : Thomas Cole, The Origins of Rhetoric in Ancient Greece (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991), وانظر : Edward Schiappa,: A Study in Greek Philosophy and Rhetoric (Columbia: University of South Carolina Press, 1991), pp. 49-54

(5) انظر: A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:77 ربيع الفكر اليوناني , د/ عبدالرحمن بدوي , ⇦ =

وهذه القضايا الثلاثة هي:

أ – لايوجد شيء.

ب – إذا وجد شيء فلا يمكن معرفته أو إدراكه.

ج – إذا أمكن معرفته وإدراكه فلا يمكن نقله للغير[1].

ص 178 والفلسفة اليونانية , محمد جديدي, ص 228-229

(1) انظر :تاريخ الفلسفة اليونانية , وولترستيس , ص 105 والفلسفة الغربية , برتراند رسل, الكتاب الأول , ص 145 والفلسفة اليونانية , محمد جديدي , ص 226 تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ,د /مصطفى النشار , ص366 ونظرية المعرفة عند مفكري الاسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين , ص32 وموسوعة الفلسفة للدكتور عبدالرحمن بدوي , 1/ 591والفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص98

المبحث الثالث

أسباب نشأة النزعة السفسطائية وحججهم

* * * * * *

H أسباب نشأة النزعة السفسطائية وحججهم A

لقد اجتهد الفلاسفة والمؤرخون في تحديد تلك الأسباب التي دعت السفسطائيون إلى القول بالشك المطلق , ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : الأسباب الخاصة :

والمقصود بهذه الأسباب هي التي تتعلق بطبيعة حال الفلاسفة العلمي والمجتمعي في عصرهم بوجه خاص , وعموم المجتمع بوجه عام , ويمكن ذكر مجملها فيما يلي:

1 – الأخطاء التي يقع فيها الناس , ومنها أخطاء الحواس , وأخطاء الوجدان , في اليقظة , والمنام , وأخطاء الذاكرة , وأخطاء الاستدلال , وتخيلات المجانين.

فالبرج المربع يبدو لنا عن بعد مستديرًا , فإذا اقتربنا منه شاهدناه مربعًا , والمجداف يبدو منكسرًا في الماء فإذا أخرجناه كان كاملًا !

ونحن نعتقد بحقيقة ما يتراءى لنا من الصور في الأحلام، فلمَ لا تكون اليقظة وهمًا كالحلم؟ ولما كان التصديق مصاحبًا لتصوراتنا جميعًا , فبأية علامة نميز الحق من الباطل؟

2 – اختلاف الناس في إحساساتهم وآرائهم وعقائدهم وأخلاقهم وعاداتهم , حتى ليمتنع التوفيق بينها على من يحاوله , وهذا الاختلاف دليل على عدم وجود حقيقة بالذات وعدم استطاعتنا الوصول إليها إن وجدت.

3 – امتناع البرهان التام :فإن البرهنة على قضية مّا , تستلزم الاستناد على قضية أخرى , وهذه تستلزم الاستناد على قضية ثالثة , وهكذا إلى ما لا نهاية !وهذا يستلزم التسلسل دون الوقوف عند حد معين وإرساء العلم اليقيني على أساس معتبر .

4 – امتناع التدليل على صدق العقل , وهذا التدليل واجب , فإن الوثوق بالعقل قبل الاستيثاق من إمكان الوثوق خلف , ولا نستوثق من هذا الإمكان إلا بالعقل, ولا يصح أن يكون العقل حكمًا فيصدقه هو أو نقع في الدور[1].

5– عدم يقينية الألفاظ والمعاني الموضوعة بين البشر .

وقد ذكر ابن رشد هذا السبب حين تطرق إلى أسباب القول بالسفسطة , فيرى أن من أسباب ذلك , هو اختلاط الألفاظ بالمعاني , (وذلك أنه لما لم تكن مخاطبة إلا بالألفاظ , أقيمت الألفاظ مقام المعاني , فأوهم ما يعرض في الألفاظ أنه يعرض في المعاني , مثل ما يعرض للحساب من الغلط في العدد ... وإنما عرض ذلك للمعاني مع الألفاظ , لأن الألفاظ ليس يمكن أن تجعل مساوية للمعاني , ومتعددة بتعددها , إذ تكاد المعاني أن تكون غير متناهية , والألفاظ متناهية , ولو جَعلتَ اللفظ مدة للمعاني , لعسر ذلك عند النطق بها , أو الحفظ لها أو لم يمكن , ولذلك اضطر الواضع أن يضع الكلمة الواحدة دالة على معان كثيرة) .

ثم يضرب ابن رشد أمثلة عن منشأ غلط المتكلم والسامع منها الغلط في المسائل العددية , لمن لم يكن لديه معرفة بطرح الحساب (وكذلك من لم تكن عنده معرفة بطبائع الألفاظ فهو جدير أن يغلط إن هو تكلم بشيء وإن هو أيضا سمعه)[2]

6 – دخول كثير من أشباه الفلاسفة الحكماء في منهج الجدل السفسطائي وهم ليسوا أهلا للفلسفة , وقد ذكر ابن رشد هذا السبب , في تلخيص أقوال أرسطو , حيث ذكر أن كثيرا من الناس يريد أن يتزيا بزي الحكماء ليقال عنه حكيم أو فيلسوف فوقع في هذا الغلط فيقول : (ولأن كثيرا من الناس يحبون أن يوصفوا بالحكمة , ويُعظموا بتعظيمها من غير كلفة ولا تعب , أو من غير أن يكونوا أهلا لذلك , إذا كانوا مما لا يمكن فيهم تعلم الحكمة , كان سببا لأن يعتمد هذا الجنس من القول , كثير من الناس يراءون به , ويوهمون

---

(1) هذه الحجج ذكرها يوسف كرم في كتابه العقل والوجود , ص٥٢

(2) تلخيص السفسطائية, لابن رشد , ص2

أنهم حكماء , من غير أن يكونوا في الحقيقة حكماء , ولذلك سموا باسم الحكمة المرائية , وهو الذي يعني باسم السفسطة والسفسطائيين في لسان اليونان... وعمل الحكيم بالحقيقة هو أن يكون إذا قال صوابا وإذا سمع كلام غيره ميز الكذب منه من الصواب)[1]

هذه هي حجج الشكاك الخاصة في إنكار إمكانية المعرفة ,أو الشك فيها ,وهم على الضد تماما من أصحاب النزعة الإيقانية التوكيدية الدوجماطيقية ,التي تؤمن إيمانا أعمى بقدرة العقل في الوصول إلى أي علم أو أية معرفة[2].

القسم الثاني : الأسباب العامة : هناك جملة من الأسباب العامة التي أدت في ظاهرها إلى نشأة النزعة السفسطائية لدى فلاسفة الشك , وهي تتعلق بطبيعة حال العالم إبان ظهور هذه الفلسفة ويمكن ذكرها موجزة فيما يلي :

1- أن النزعة السفسطائية نشأت بعد حروب مريرة بين الفرس واليونان[3] ونتج عن ذلك رغبة جماهير الفلاسفة في العمل , ولهذا تقاضى فلاسفة السفسطائية أجورا عالية لقاء تعاليمهم التي يلقونها على طلابهم خاصة وعلى الجماهير عامة كما كانوا يحاولون جعل تلاميذهم مواطنين بارعين في ميادين الحياة العملية[4] .

ويرجع بعض المؤرخين سبب أخذهم المال إلى أن " الدولة لم تكن تخصص من مالها شيئا لمثل هذا التعليم "[5]

ولهذا نجد أن سقراط لا يتوانى أن يعيّرهم بأخذهم المال ويقدح فيهم جراء ذلك فيقول : (لم يخجلوا من المطالبة بسعر يبلغ ثلاثة أو أربعة عملات نقدية ، لو كانوا يبيعون أي

---

(1) تلخيص السفسطائية , لابن رشد , ص2-3

(2) انظر : مقدمة في الفلسفة العامة ,يحيى هويدي ,ص١٢ والاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص 28

(3) انظر : الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 146

(4) انظر: الاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص 29

(5) الفلسفة الغربية , برتراند رسل, الكتاب الأول , ص139

سلعة أخرى مقابل هذا الجزء التافه .. , مع ذلك، بالرغم من أنهم حددوا سعرا زهيدا جدا لكل مخزون الفضيلة والسعادة، فقد ادعوا الحكمة وادعوا بأحقيتهم في توجيه بقية العالم، علاوة على ذلك، بالرغم من أنهم يقولون بأنهم لا يرغبون في المال، ويتحدثون بازدراء عن الثروة وكأنها "أرباح غير شرعية"، فهم مع ذلك يمدون أيديهم لتحقيق مكاسب تافهة ويَعِدون بتخليد تلاميذهم ..)[1]

ويقول أيضا عنهم: (ويلاحظ أن معلمي الحكمة وموزعي السعادة هم أنفسهم في عوز كبير, ولكنهم يحصلون فقط على رسوم رمزية من تلاميذهم، وهم مترقبون للتناقضات في الكلمات، بينما هم غافلون عن التناقضات في الأفعال، وعلاوة على ذلك، يزعمون أنهم على علم بالمستقبل، ولكنهم غير قادرين على قول أي شيء ذي صلة بالحاضر أو تقديم أي مشورة بشأنه، وعندما يُلاحظ أن من يتّبعون تقديراتهم هم أكثر اتساقا ونجاحا ممن يفتخرون بأن لديهم المعرفة الدقيقة، فيكون لديه – في ظني – سبب قوي لبغض هذه الدراسات واعتبارها حشوا ولغوا، وليست الدرب الحقيقي للروح)[2]

2– من أسباب ظهورها أيضا هي أنها نشأت في موجة تباين فكري وعقدي وعقلي بين أطياف المجتمع اليوناني , حيث كان هناك تصادم بين المؤمنين بالأساطير والعقائد اليونانية وبين قواد موجة الشك والكفر بتلك الأساطير , فلم يلبث الناس أن نبذوا آلهتهم القديمة وراء ظهورهم , لأنهم شعروا بعد أن استنارت عقولهم أن تلك الآلهة لم تكن جديرة بالعبادة والتقديس , وما ظنك بآلهة نسبت إليها كل صنوف النقص والفجور كما صورها شعراء اليونان ؟

يقول برتراند رسل : " وطبيعي أن يلقى مذهب الشك رواجا عند كثير من العقول غير الفلسفية , فقد رأى الناس اختلاف المدارس , وحدة ما قام بينهما من منازعات

---

(1) Geore Norlin, Isocrates with an English Translation (Harvard University Press,1980) pp.65

(2) نفس المرجع .

, فقرروا لأنفسهم أن كل هذه المدارس سواء في ادعائها العلم بما يستحيل العلم به , فكان الشك عزاء الكسلان , لأنه مذهب يبدي الجاهل , في حكمة رجال العالم المشهورين بعلمهم)[1]

3 – الاختلافات السياسية , بين التسلط الإمبراطوري والدعوات الديمقراطية, فقد كان قبل مجيء السفسطائية أزمة حضارة يونانية متأرجحة , ولهذا , فقد شكلت المؤسسات الديمقراطية ضغطا كبيرا على لجوء فلاسفة السفسطائية على إبراز سفسطتهم , فالبحث عن السلطة يستوجب تحكما جيدا في اللغة وفي البرهنة , والأمر لم يعد متعلقا بالتنظيم والترتيب فحسب , بل يتطلب كذلك الإقناع والتفسير , ولذلك فإن السفسطائيين جميعهم من الطبقة الوسطى[2].

ويذكر برتراند رسل عن حال ذلك الزمان فيقول : " فقد كان ثمة صراع لا ينقطع بين الديمقراطيين والطغيان في معظم المدن اليونانية ... فلا يلبث حزب من هذين الحزبين أن ينكسر حتى يحكم على زعمائه بالإعدام , أو النفي فورا"[3].

4– الاختلافات العلمية التي يتزعمها جملة من كبار الفلاسفة والتي تباينت في شرحها لمبدأ الكون , إلى جانب نشأت الآراء العلموية في مظاهر الكون والرياضيات , فأصبح الناس يعللون ظواهر الكون تعليلا طبيعيا دون أن يردوها إلى قوى الآلهة [4].

تلك الآراء العلمية التي تصادمت مع واقع الأساطير الدينية التي كان يعتنقها اليونان اتباعا لأحد الفلاسفة السابقين , مثل زعم طاليس أن الماء هو العنصر الأول

---

(1) الفلسفةالفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأل , ص 366

(2) انظر : Gilbert RomeyerDherbey , Les sophists, Paris, P U F , p.p4-5 نقلا عن الفلسفة الإغريقية , محمد جديدي , ص 213 والفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 141

(3) تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 107

(4) انظر : الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص92

للعالم [1], وأنكسيمانس يرى أنه الهواء[2] , وهيرقليطس يرى أنه النار[3] , وأمبادوقليس يرى أنها أربعة أشياء في الماء والهواء والتراب والنار[4] .

5 – تعرض القيم الأخلاقية إلى مزيد من النقد والتهجم , وذلك بعد أن منيت أثينا بحضارات جديدة بعد هزيمتها للفرس في معركة ماراثون عام 499 ق م فاختلطت الحضارات وامتزجت الأفكار , مع دعوى كل واحد منهم احتكار الحقيقة , فانحلت القوانين والأخلاق , واعتبارها قيود وأغلال وأصبح هاجس الشبان هي السعي وراء الشهوة والملذة وكسب المال وعمت الفوضى الفكرية[5].

تلك الموجة التي فتحت أعين الجماهير على الجدل والخطابة فكانوا يجتمعون على نقض المسلمات الجماهيرية والعقدية[6] . فانتقلوا بالفلسفة اليونانية من القضايا العامة كالوجود والطبيعة وانزلقوا بالفلسفة إلى الجانب الإنساني على مستواه الفردي وبرعوا في فن الجدال , وإعطائه بعدا بلاغيا وترويض الفكر بغية خلق أجواء مناسبة لكل الموضوعات

---

(1) انظر : تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 61

(2) انظر : الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص24

(3) تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 91 و See C. Joachim Classen, "Aristotle's Picture of the Sophists," in G. B. Kerferd, ed., The Sophists and Their Legacy (Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1981), pp. 7-24.

(4) تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 107

(5) انظر: الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 146 وربيع الفكر اليوناني , عبدالرحمن بدوي , ص 166-167 وتاريخ الفلسفة اليونانية , وولترستيس, ص 97-98 والفلسفة اليونانية , محمد جديدي , ص 215والفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص93

(6) انظر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن , نديم الجسر , ص 36

على ماتفضي إلى فن الجدل[1].

6 – اختلافهم في نشأة القوانين الإنسانية , فتساءلوا , هل القوانين الإنسانية مفروضة بالطبيعة Paenaure أم هل هي مفروضة بمواضعات ترجع إلى اتفاق الناس فيما بينهم Par convention ؟

فرأى بروتاغوراس أنها اتفاق بين الناس ورأى أن الإنسان هو الذي اخترع القوانين التي تنظم الحياة الأخلاقية والسياسية واخترع العلوم والصناعات التي يسيطر بها على الطبيعة , إذن فهي تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة , وقد اشتهرت عبارته الشهيرة " الإنسان هو مقياس كل شيء , فهو مقياس وجود ما يوجد من الأشياء، ومقياس لا وجود ما لا يوجد منها"[2]

فخلص بروتاغوراس إلى أن أساس القوانين والشرائع هو اتفاق الناس ومواضعاتهم , وهو ما يسمى لديهم بالنوموس[3].

ولكن هذا لم يكن محل اتفاق بين السفسطائيين , وسبب اختلافهم يعود إلى التفرقة بين الطبيعة والقانون .

فمن السفسطائيين من يرى أن القوانين ليست من مواضعات البشر , ولكنها مستمدة من الطبيعة الانسانية ورغباتها وأهوائها , وهو ما يسمى لديهم بالفيزيس , فقوانين اللا

---

(1) انظر : الموسوعة الفلسفية المختصر , ص 191 والاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص31

(2) انظر: Gilbert RomeywrDherbey, Les sophists,p.18 نقلا عن الفلسفة اليونانية , محمد جديدي , ص 221 و , A Companion to Ancient Philosophy Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:86

(3) انظر: Monique Canto-Sperber (sous la direction), philosophiegrecque ,p.p.112-114 نقلا عن الفلسفة اليونانية , محمد جديدي, ص 230 الفلسفة اليونانية , يوسف كرم , ص 47 وتاريخ الفسفة اليونانية , وولترستيس, ص 105 وموجز تاريخ علم اللغة(في الغرب) , ر هـ روبنز , ترجمة د/ أحمد عوض , ص 58 والفلسفة اليونانية , محمد جديدي , ص 224-225

قوانين البشرية هي المعيار والحكم , وأن القوة في النزوع والسيطرة وإشباع الرغبات وسياسة المدن , فالزهد ضعف وفتور , فلا بأس لديهم أن السياسي يتملق الناس ويسايرهم لتحقيق مصلحته , ليأخذ بشعبه الى الحكمة والفضيلة والخير.

والعدالة عندهم كما طرحها أفلاطون هي مصلحة الاقوى أو مايعرف بنظرية الحق للأقوى , وهو رأي غورجياس وتلميذه قليقس ومعظم السفسطائيين[1], فالشريعة لدى السفسطائية ابتكار بشري [2].

(1) انظر : الفلسفة اليونانية , محمد جديدي, ص 232وقراءات في فلسفة التنوع , فتحي التريكي , ص 54

(2) انظر : الفلسفة اليونانية , إميل بريهييه , ص 110-111

ηالمبحث الرابعα

أهم الآراء السفسطائية

* * * * * *

H أهم الآراء السفسطائيةA

لقد كان للسفسطائيين آراء في مختلف القضايا , فنجد أن كل سفسطائي أدلى بدلوه في كثير من الموارد وعرض آرائه فيها , وكل منهم كذلك أدلى ببراهينه على صحة موارده ومآخذه , مع عدم انتمائهم لمدرسة معينة , بل كل سفسطائي هو مدرسة نفسه – إن جاز التعبير – , غير أنهم اتفقوا على الفلسفة والعلم المغالط , والشك في ثوابت الجماهير والثوابت الحسية والمعرفية والعقلية والباطنية – كما سبق بيانه –

ولعلنا هنا نلقي الضوء على بعض القضايا الفلسفية التي كانت لكبار السفسطائية آراء فيها , ومن تلك القضايا ما يلي :

أولا : قضية المعرفة :

تمهيد : نجد أن هناك تداخلا بين نظرية المعرفة لدى الانسان وبين المباحث الفلسفية الأخرى , كعلم الانطولوجيا أو الوجود , وذلك لأن جلّ تلك المباحث الفلسفية الأخرى تنبثق من بوتقة علم الأبستمولوجيا أو المعرفة , فكيف نتمكن من الوصول إلى معرفة الأشياء الموجودة والميتافيزيقية بما فيها الاعتقادات ؟

وما هي حدود العقل الإنساني في الوصول إلى معرفة الغيبيات ومعرفته بها؟

وهل له القدرة على ذلك ؟ وهل يمكن الاعتماد عليه؟

أم أننا نقصر اعتمادنا على الحس والتجربة ؟ أم نعتمد على الخبر الصحيح؟

كل تلك الأسئلة لا يمكن أن تحل دون الرجوع الى ركيزة نظرية المعرفة والاتفاق على الأصل الذي يمكن من خلاله أن نستقي مصدر المعرفة منه على تلك الأسئلة(1).

فقضية المعرفة تعتبر من أهم القضايا المطروحة في الميدان السفسطائي , بل لدى الفلاسفة عموما , فقد اهتم بهذه القضية جل أو كل الفلاسفة من المتقدمين والمتأخرين,

---

(1) انظر: Connor and Carr. Introduction to the Theory of Knowledge, PP. 1-2 The Harvester Press Sussex, 19820' نقلا عن نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين , د/ محمود زيدان , ص10

بل لا أكون مبالغا إن قلت إنه لا يوجد فيلسوف لم يتطرق إلى هذه القضية .

كيف لا؟ وهي مفتاح العلوم والمعارف لدى الإنسان , فالسفسطائيون أنكروها , وفي المقابل وقف جهابذة الفلاسفة في مناكفة هذا الإنكار كسقراط وأفلاطون , وهكذا دواليك , في كل عصر , نجد انقسام الفلاسفة في تلك القضية .

وهذه المعتركات الفلسفية– إن جاز التعبير – سارت حتى لدى الفلاسفة الإسلاميين[1].

ثم ظهرت جليا لدى فلاسفة عصر التنوير , فنجد أن رواد المدرسة الشكية من المتأخرين كديكارت وجون لوك وديفيد هيوم كانوا من رواد ذلك العصر في مباحث قضايا المعرفة .

وهذا سرَى أيضا إلى رواد النزعة التجريبية مثل جون ستوارت مل وجورج مور وبرتراند رسل وهذا ما نجده أيضا لدى المدرسة الفرنسية النقدية المعاصرة وغيرهم[2].

أما فلاسفة ما قبل المرحلة السفسطائية , فقد كانوا يفرقون بين الحس والعقل , ويفرقون بين ما يدرك بالحس وبين ما يدرك بالعقل , فقد كان من الشائع أن الحق يدرك بالعقل , لأنه قدر مشترك عام , وأما الحس فحسبي , لأن كل حاسة إنسان خاصة به , فلا يمكن نقل إحساسك باللون الأحمر إلى الأعمى مثلا , وكانوا يفرقون بين الوجود الذهني والوجود الخارجي , فقد أرى سراب ماء , وفي الخارج ليس هناك ماء , فالشيء في الخارج مستقل عن ذهني وحواسي[3] , هذا هو الرأي الشائع قبل ظهور السفسطة بشكلها الفلسفي .

---

(1) انظر : المنقذ من الضلال , ص 33 وحقيقة خوان الصفا . ص184 والجبائيان أبو علي وأبو هشام , علي فهمي , ص 333 .

(2) انظر : The Encyclopedia ofPhilosophy, edited by Paul Edwards, Macmillan, London, 1 967, Vol. 4, P345,art: Knowledge and belief . نقلا عن نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين , زيدان , ص 8 وقصة الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص 302.

(3) انظر : الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص 97

قضية المعرفة عند السفسطائية :

اتفقت كلمة السفسطائية على أنه ليس هناك شيء موجود في الخارج عما في أذهاننا , واتفقوا على عدم إمكانية المعرفة اليقينية , فقد كانت فكرة بروتوجوراس أنه من المستحيل أن يصل الإنسان إلى معرفة موضوعية , وأن الإنسان هو مقياس كل شيء , وأن المعرفة نسبية , تتغير من فرد إلى فرد , فما يبدو لي حق فهو حق , وما يبدو لك هو الحق فهو الحق , وكلانا على حق , وأننا نعرف الأشياء معرفة نسبية تتغير من فرد إلى فرد , وهي تقوم على الإدراك الحسي(1)

ومن غلاة السفسطائيون من يرفض إمكانية المعرفة , المحسوس منها والمعقول , بل ينكر الإدراكات الضرورية كالحلم والتخيل والتفكير , فإذا بدا أن الرياح باردة بالنسبة لي ولكنها دافئة بالنسبة لك , فإنها بالفعل ستكون باردة بالنسبة لي ودافئة بالنسبة لك , فآراؤنا هي كلها أمور حقيقية بالنسبة لنا (2) .

بينما نرى بعض الباحثين يشكك في حقيقة القول بنسبية المعرفة لدى السفسطائيين ,بل يرى أن نسبة القول بذلك إليهم " ضعيف إلى حد كبير " (3)

وهذا القول في الحقيقة , هو الذي يحوي الضعف الكبير , إذ قد تواترت البراهين التي تؤيد ضد ذلك لدى الفكر السفسطائي – ولا مجال هنا لذكرها – .

وقد اختلف السفسطائية أيضا فيما بينهم , بعد أن اتفقوا على أن الإنسان هو المعيار الوحيد للمعرفة, فاختلفوا في المعنى الإنساني , فمنهم من يرى أن المقصود بالإنسان هو الإنسان بمعناه الكلي , وتكون الحقيقة كلية ليس لها وجود حقيقي في الخارج , وإنما هي

---

1) انظر : A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and Pierre pellegrin,pp:88 نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين , زيدان , ص32

2) انظر : A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:88

3) انظر : نفس المرجع , ص 87

من وضع عقولنا , فما يبدو للبشر أنْ رأوه موجودا فهو موجود وإنْ رأوه غير موجود فهو غير موجود .

ومنهم من أرجع المعنى الإنساني إلى أفراد الناس , أي أن الحقيقية نسبية تتغير بتغير الأفراد حيث أن وجوده يكون من خلال الذات , وهذا الذي عليه أغلب السفسطائيين ويتماشى مع مذاهبهم بنسبية المعرفة وهو الظاهر من رأي بروتاجوراس(1), ولذلك يرى يروتوجوراس أن لفظ الخطأ والصواب لا معنى له , فليس هناك شيء يسمى حقا في ذاته أو في الواقع ونحو ذلك(2).

وعلى هذا , فالمعرفة عند السفسطائيين الإنسانيين قائمة على أساس الخبرة , فالحلو والبارد والحار وغير ذلك من الإحساسات , لا تتنوع فقط بين شخص وآخر , وإنما عند الشخص من لحظة إلى أخرى , فليس إحساس أصوب من إحساس (3), وعلى هذا الرأي , يصح أن تكون القضيتان المتناقضتان كلتاهما صادقة. (4)

وقد طبق فلاسفة السفسطائية هذا المعيار على القيم الأخلاقية , وقالوا بنسبيتها , أي أن الفرد مقياس الخير والشر , فالقيم والمبادئ في مجال الأخلاق نسبية متغيرة بتغير الزمان والمكان , وتختلف باختلاف الظروف والأحوال , وكل ما يظهر للشخص أنه حق فهو حق بالنسبة إليه وحده فلا يمكن أن يكون هناك قانون خارجي أخلاقي عام يخضع له

---

(1) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية , مصطفة النشار2/ 46 الاتجاهات الفلسفية ,رحيم موسوي , ص 78

(2) انظر : الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود, ص 97 والموسوعة الفلسفية المختصر , ص 92

(3) انظر : المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية , أولف جيحن , ترجمة : عزت قرني , ص 37

(4) نظر : تاريخ الفلسفة اليونانية , مصطفة النشار , 48/2 قصة الفلسفة اليونانية , أحمد أمين و زكي نجيب محمود , ط الاثمنة , مكتبة النهضة المصرية , ص 71 والحرية المسؤولة في الفكر الفلسفي , سامي نصر لطف , ص 209

الناس , بل يرى بروتاجوراس أن القيم الأخلاقية لمجتمع معين لا تكون صالحة لمجتمع آخر , لأن تلك القيم تعاقدية , فكل مجتمع يسن قوانينه الخاصة به دون مراعاة لقواعد ثابتة ومحددة (1)

ثم طبقوه أيضا في رأيهم على قوانين العدالة , فقد كانوا يرون أنه ليس هناك قانون عام مؤسس على العدالة , وليس هناك قانون عادل في نفسه , وإنما قوانين الدولة هي من اختراع الأقوياء ليخضعوا بها الضعفاء , فالقوة هي الحق , ومن رأى أن لديه القوة ليخرج على القانون من غير أن يعاقب , فله حق الخروج(2).

وفي الحقيقة , هذه النسبية ليس لها أساس ثابت يمكن أن تعتمد عليه في نظر السفسطائية , فما يُرى عيب في مكان معين لا يعتبر كذلك في مكان آخر , فقد كان بعض أجزاء من المناطق اليونانية يعتبرون أنه من الجيد للفتيات ممارسة ألعاب القوى والتجول بالاسلحة الظاهرة دون ارتداء أي سترة , لكن بعضهم يعتقدون أن هذا أمر مخجل , وقد كان بعض الحضارات المتاخمة لليونان يقطعون أجساد والديهم ويأكلونها , ويعتقدون أن أفضل المقابر هي التي يدفن بداخلها طفل أحدهم , لكن في اليونان إذا فعل شخص ما شيء من هذا , فسوف يتم نفيه من اليونان , والأمر ذاته ينطبق على ممارسة الجنس قبل الزواج , والوشم ونكاح المحارم وسلخ فروة الرأس (3) .

---

(1) سبق بيانه , وانظر : A Companion to Ancient Philosophy , Edited by Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:86: الفلسفة القديمة , زين عباس عطيتو , ص 245 والفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص 99 والاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص 30 و A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:86

(2) انظر : قصة الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , 2 99-100

(3) انظر : A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:88

ثانيا : قضية وجود الإله :

لقد نزع السفسطائيون جميعا على اختلاف مناهجهم واهتماماتهم إلى تشكيك الناس في وجود الآلهة وعدم الإيمان بها , وقد ألف بروتاغوراس كتابا عنوانه " في الالهة " تسبب في طرده من أثينا وموته غرقا أثناء فراره منها إلى صقلية بعد اتهامه بالإلحاد , وقد ابتدأه بقوله : " لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أم غير موجودين , فإن أمورا كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم , أخصها غموض المسألة وقصر الحياة " (1)

فنرى هنا أن بروتاغوراس رد السبب لعدم وجود الآلهة هو غموض هذه المسألة , ثم رد سبب غموضها إلى قصر الحياة , أي يرى أن الإنسان مهما أفنى عمره فلن يستطيع في هذه الحياة القصيرة إثبات وجود الإله .

ومردّ هذا السبب عنده هو السير على أساسه الذي اعتمده , وهو أنه يرى أن الإنسان الفرد هو معيار وجود الأشياء جميعا , وما دام أن الحواس غير قادرة على إدراك هذا النوع من الوجود الإلهي , فالموضوع إذن غامض.

وهذا القول متسق مع نظريته في المعرفة , فما دام الإنسان الفرد بحواسه هو معيار وجود الأشياء جميعا , فمسألة وجود الآلهة ينبغي أن تخضع لهذه النسبية ولنفس المعيار .

لكن الأكثر أهمية بالنسبة لهذه المقولة , والتي اختلف حولها الباحثون اختلافا عظيما هو بيان مدى لا أدرية بروتاغوراس تجاه الآلهه, هل موقفه موقف اللا أدري, الذي لا يعرف إن كانت الآلهة موجودة, أم غير موجودة, أم أن موقف بروتاجوراس هو موقف

---

(1) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية , يوسف كرم , ص 46 والموسوعة الفلسفية المختصرة , ص 92 و Paul-Bernard Grnet, Histoire de la philosophie ancienne,p.59 نقلا عن الفلسفة اليونانية , محمد جديدي , ص 220 وتاريخ الفلسفة اليونانية , يوسف كرم , ص 59 وتاريخ الفلسفة اليونانية , مصطفى النشار , 2/ 46 وقصة الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص95

الملحد الذي لا يعترف بأي وجود للآلهة؟ فمنهم من يرى أنه من الملاحدة السفسطائيين[1].

بينما يرى البعض أن بروتاغوراس يؤكد في هذا النص عن لاأدريته وتوقفه عن الحكم, لا عن إلحاده, أو عدم إيمانه بوجود الآلهه , والسبب في عدم هذه المعرفة, أو تلك اللا أدرية –في نظر بروتاغوراس– هو محدودية العقل الإنساني وقصوره وضعفه كأداة غير صالحة للوصول إلى رأي قطعي حول مسألة الإله(2).

وهناك بعض أعلام السفسطائيين غير بوتاجوراس لهم أقوال ونظريات مهمة في قضية الألوهية منهم بروديقوس وهو من أعلام المدرسة السفسطائية ومستأخريهم قبل سقراط , وكان يختلف عن أقرانه حينما أولى موضوع الألوهية عناية خاصة , إلا أن بحثه في هذا الموضوع كان مقتصرا على بيان الأصل الذي نشأت عنه فكرة الألوهية في حياة الإنسان, وصلة ذلك بالمجتمع, وكيف عرف العقل البشري وجود الآلهة...والحقيقة أنه كان مجرد باحث ودارس حول أصل التأليه عند البشر, ولم يبحث عن العقيدة الصحيحة حول الألوهية(3).

أما أنطيفون فقد أعلن إلحاده من خلال نظرية مادية طبيعية خاصة به, نادى من خلالها بالعناصر الأربعة , النار والماء والتراب والهواء , وفي ذلك يتفق مع غيره ممن نادوا بالقول بالعناصر الأربعة , لكنه يختلف معهم حين يضيف أن هذه العناصر التي تكوّن منها العالم قد وجدت بفعل الطبيعة والمصادفة وليست من قبل إله من الآلهة أو بفعل الفن(4) , ليصل أنطيفون من خلال هذه النظرية المادية الطبيعية إلى أنه لا حاجة للكون إلى وجود الآلهة, وأكد أنطيفون أن البشر هم الذين تواضعوا واتفقوا على وجودها بينهم , وأكبر دليل على ذلك عنده هو أن الآلهة تختلف من مكان إلى آخر(5) وعلى ذلك يقيم

---

[1] **انظر : الموسوعة الفلسفية المختصرة , ص 92**

(2) انظر: جدلية العلاقة بين الدين والفلسفة, ص.٢٦6

(3) انظر: بتوسع فجر الفلسفة اليونانية ص٣٠٤

(4) انظر: جدلية العلاقة بين الدين والفلسفة ص.١٨٧-١٨٦

(5) انظر: فجر الفلسفة اليونانية, ص.٢٩٤

أنطيفون دليلين على عدم وجود الآلهه:

1 – عدم حاجة الكون إلى آلهه, فهو يسير وفق قوانين الطبيعة المتناغمة أزلا , فمذهب أنطيفون المادي ينكر وجود الآلهة.

2 – أن الآلهة تختلف طبيعتها, وتتناقض من مكان إلى مكان آخر, فالإنسان هو الذي أبدع آلهته, وأن هذه الآلهة أساطير صورتها المخيلة البشرية, ولا جود طبيعي لها[1] فمن الطبيعي بعد هذا أن ينكر أنطيفون العناية الإلهية .

والجدير بالذكر هنا , هو أن بعض السفسطائيين كانوا يتدينون بالعقائد الدينية لأهل بلدانهم , بل – كما يقول برتراند رسل – كان منهم كهنة للمعابد , والسبب في ذلك هو أن مذهبهم المتشكك قد " أكد لهم أن هذا الضرب من السلوك يستحيل أن يقوم برهان على بطلانه , وكذلك أكد لهم إدراكهم الفطري بأن ذلك السلوك ملائم للظروف"[2].

ويزال العجب أكثر , إذا عرفنا أن مذهبهم يوافق على مسايرة المجتمع الديني وأداء الشعائر الدينية دون الاعتقاد بها وهذا من جملة التضاربات التي وقع فيها السفسطائيون .

---

(1) انظر: جدلية العلاقة بين الدين والفلسفة, ص.١

(2) الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 365

الفصل الثانـي

أثر السفسطائية في نشأة مدراس الشك

الفصل الثاني

أثر السفسطائية في نشأة مدراس الشك

وفيه ثلاثة مباحث: -

- المبحث الأول: الشذرات الشكية لدى فلاسفة اليونان في العصر الهليني.
- المبحث الثاني: ظهور فلاسفة السلب والإنكار ضد موقف الاتجاه السفسطائي.
- المبحث الثالث: ظهور مذاهب الشك المتأثرة بالسفسطائية في الفلسفة اليونانية في العصر الهلنستي.

* * * * * *

H أثر السفسطائية في نشأة مدرسة الشك لدى فلاسفة اليونانA

أثّر الفكر السفسطائي تأثيرا بالغا على معظم الفلسفات الشكية اللاحقة التي جاءت بعده , بل يمكننا القول , أن الفكر السفسطائي أوقد التفكير الشكي الممنهج الذي سار عليه الفلاسفة في طريقهم لمعرفة طرق المعارف المختلفة .

وفي الحقيقة , يمكننا أن نجد أن كبار فلاسفة العصر الهلنستي لديهم بقايا من تأثير النزعات السفسطائية , بل تبنت بعض مدارسها نفس أسس الفلسفة السفسطائية. وفي المقابل , نجد أن هناك بعض المدارس الفلسفية نأت بنفسها عن السفسطة بل وحاربتها أشد المحاربة , وأبرز ما يتجلى ذلك لدى سقراط وأفلاطون وأرسطو , ويمكننا بيان موقف الفلسفة اليونانية سواء أكانت بالسلب والإنكار , أو التأييد والإيجاب وذلك فيما يلي :

أولا : الشذرات الشكية لدى فلاسفة اليونان في العصر الهليني.

ثانياً: ظهور فلاسفة السلب ضد موقف الاتجاه السفسطائي.

ثالثاً: ظهور مذاهب الشك المتأثرة بالسفسطائية في الفلسفة اليونانية في العصر الهلنستي.

ηالمبحث الأولα

الشذرات الشكية لدى فلاسفة اليونان في العصر الهليني

* * * * * *

H الشذرات الشكية لدى فلاسفة اليونان في العصر الهليني A

يعد العصر الهليني[1] اليوناني عصر شذرات الشك لدى أفراد من فلاسفة اليونان , فقد ظهرت الفلسفات الشكية من بعض الفلاسفة , والتي كانت على شكل دعوات فردية للشك غير المنظم , كالمدارس اللاحقة التي ظهرت بعد ذلك في العصر الهلسنتي , ومن أبرز أولئك ما يلي :

أ – الفيلسوف أكسينوفان أو أكزنوفنس , Xenophanes (571 – 475 ق م) وقد كانت له مقولة مشهورة حيث يقول : "اليقين الكامل فوق إدراك الإنسان لأن فوق الأشياء ظاهرا يخفي حقائقها"(2).

وقد أثر عنه قوله أيضا :"لم يوجد إنسان ولن يوجد يعرف بيقين ما أقوله عن الآلهة أو بخصوص كل الأشياء , بل إنه حتى إذا ما صادف أحد وقال شيئًا حقيقيًا , فإنه مع ذلك لن يعرف أنه قال شيئًا حقيقيًا , ولكن كل واحد يحسب أنه يعرف حقا"(3).

فهو ينفي الإدراك اليقيني للإنسان مهما بلغت البراهين التي تقود إلى الحقيقة وهذا ما اعتبر أحد أسس المنهج الشكي في المدارس التي تبنت الشك السفسطائي في العصر الهلنستي.

فهنا نجد أن الفيلسوف أكزنوفنس قد طبق أهم أسس المنهج السفسطائي , ألا وهو نفي اليقين المعرفي , فنجد أنه جعل المعرفة اليقينية نسبية , فما تراه يقينا قد أرى عكسه

---

(1) سيأتي بيان الفرق بين العصر الهليني والهلنستي في المبحث التالي .

(2) انظر : ديكارت والفلسفة العقلية , راوية عبد المنعم , ص 107 والفلسفة اليونانية حتى أفلاطون , ص 51

(3) الشك في الفلسفة اليونانية أبعاده واتجاهاته عبدالسلام خطاب ص23 , والفلسفة اليونانية حتى أفلاطون , ص 53

وكلانا صحيح ، وكلانا لا نعرف اليقين , وهو المنطق السفسطائي البروتوغوراسي[1] , وهذا ما طبقه أيضا على الآلهة .فيقول : " فالحقيقة المؤكدة هي أنه ليس بين الناس ولن يكون أبد الدهر من يعرف شيئا عن الآلهة أو عن كل هذه الأشياء التي أتحدث عنها , نعم , حتى لو شاءت المصادفة لشخص أن يقول الصواب التام في أمر من الأمور , فسيظل هو نفسه على غير علم بصوابه , إنك لن تجد غير التخمين أينما وجهت النظر "(2)

ولهذا نجد أكسنوفان هاجم كل شيء بدءاً من التاريخ الديني , فقد هاجم هومر وهزيود , وأنهما قد " نسبا إلى الآلهة كل ما يجلب العار والصغار للبشر , فنسب إليهم السرقة والزنا والخداع..."

ثم نراه لا يقتصر فقط على مهاجمة آلهة هومر وهزيود اليونانيين , لكنه يهاجم فيما يظهر كل الآلهة فيقول : " لو كان للثيرة والخيل والأسد أيدي , وكان في استطاعتها أن ترسم الرسوم بأيديها , وأن تنتج الأعمال الفنية ,كما ينتجها الإنسان , إذن لصورت الخيل الآلهة على صورة الخيل , والثيرة على صورة الثيرة , ولجعل كل نوع منها أجسام الآلهة على غرار نوعه هو .. إن أهل إثيوبيا يجعلون آلهتهم سود البشرة, فطس الأنوف , ويقول التراقيون إن آلهتهم رزق العيون , حمر الشعر "ونجد أكسنوفان أيضا يسخر من عقيدة التناسخ الفيثاغورية , وينكر صحتها (3).

ب – الفيلسوف هراقليطس : ومن إرهاصات الفكر السفسطائي أفكار الفيلسوف الشكي هيراقليطس (535 – 475قم) حيث يرى أن معلومات الحواس لا تقود إلى الحقيقة , ويرى أن حقائق الأشياء تخفى علينا , لأن ظاهرها غير باطنها .

وقد هاجم هيراقليطس كل فلاسفة عصره السابقين له والمعاصرين , ولهذا يبدو أنه لم يكن محبوبا من مجتمع عصره , فنراه ينفي المعارف التي توصل إليها علماء عصره وفلاسفته , فيقول : " لم أجد واحدا من بين كل من سمعت أحاديثهم استطاع أن يفهم أن الحكمة

---

[1] كما سبق بيان منهج بروتوغوراس .

(2) تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 86 .

(3) انظر : نفس المرجع , ص86 - 87 .

لم يبلغها أحد.. إن تعلم أشياء كثيرة لا يعلم الفهم .."[1].

ويقف هيراقلطس موقفا عدائيا من الديانات السائدة في عصره , فيقول : " إن الأسرار الدينية الشائعة بين الناس أسرار لا قدسية فيها"[2]

ولهذا هاجم كل القائمين على الأسرار الدينية في سلسلة الكهنوت حيث يقول : " المشاة بالليل والسحرة والكهنة والكاهنات دنان خمر , كل هؤلاء يتاجرون بالأسرار"

وفي المقابل , نجد أن هيراقليطس لم يخرج من دوامة التناقضات السفسطائية , فبينما ينفي الحقائق الثابتة نراه يعتقد بحقائق ثابتة أيضا , فكانت لديه بعض الاعتقادات الدينية المثبتة , تتضح من خلال أقواله , لعل من أبرزها , هو الاعتقاد بأن النار هي مصدر الأشياء فيقول : " إن هذا العالم الذي يستوي عند الجميع لم يخلقه إله ولا إنسان , لكنه كان وهو لا يزال وسيظل إلى الأبد نارا , ما تنطفئ فيها الحياة , فتشتعل بمقدار وتخبو بمقدار " ويقول أيضا : " إن النار تتحول أولا إلى بحر , ثم يتحول نصف البحر إلى تراب , ونصفه الثاني إلى ريح"

وكاعتقاده بالوهية الأرواح كما يظهر في قوله : " الميتات العظمى تظفر بأنصبة أوفر, ومن يموتون هذه الميتات العظمى يصبحون آلهة" [3]

وكاعتقاده أيضا بوجود الله باعتباره متميزا عن الآلهة , وأن " أفعال الله لها حكمة بخلاف أفعال الإنسان ..... وأن أحكم الناس قرد بالنسبة إلى الله , كما أن أجمل قرد قبيح إذا قورن بالإنسان" .

وفي الحقيقة لا يمكننا الاطمئنان إلى هذه الثوابت الميتافيزيقية التي يتبناها هيراقليسط , فلا نعرف ما يجول في ذهنه نحو حقيقة هذه الأشياء , وهل لها حقيقة ثابتة أم أنه يخاتل بمرامي الكلام كما هو ديدن أساطين السفسطائية , ولهذا نجده يصف الله بخلاف ما يتبادر

---

(1) نفس المرجع والموسوعة الفلسفية المختصرة , ص 229 .

(2) تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 89.

(3) هيراقليطس جذور المادية الديالكتيكية , ثيوكاريس كيسديس , ص120

إلى الذهن فيقول : " الله هو النهار والليل والشتاء والصيف والحرب والسلام والشبع والجوع، لكنه يتخذا أشكالا عدة كما يطلق على النار أسماء تختلف إذا امتزجت بالتوابل باختلاف الشذى الذي يفوح في كل حالة"(1)

فها نحن نجد ما يصدق مخاوفنا من آراء هيراقليطس في الثوابت الميتافيزيقية , ونجد الله الذي هو أجلى الثوابت الفطرية في الإنسان , يُنكر بطريقة سفسطائية من قبل هيراقليطس , ويمثل لرأيه بتحول النار الى توابل , وهذا المثال له لا يسلم , وهو قياس مع فارق كبير , فالتوابل ليست مزيج نار , وإنما هي جنس آخر غير جنس النار وليست متحولة عنها .

وأبرز مواقف الشك الذي يمكن أن تعتبر كجذور للفكر السفسطائي هو اعتقاده بتحول الأشياء الدائم , وأن كل الأشياء في تغير مستمر , فأنت لا تنزل في النهر الواحد مرتين , لأن ماءً جديدا سيظل دفاقا عليك"(2).

وكجمعه بين القضيتين المتناقضتين , والتي بناها على قضية عدم الثبات كقوله : " الخير والشر واحد "(3)

وهنا نجد أن الفيلسوف هيراقليسط قد بنى منهجه الشكي العدمي على استحالة الثبات , ولذلك رأى أن التغيراتِ المتعاقبةَ دليلٌ على عدم الثبات , وبالتالي , فما دام لا يوجد الثبات , فتمتنع معرفة الحقيقة واليقين , وهذا المنهج قد تأثر به معظم الفلاسفة اللاحقين له من السفسطائية .

وهذا الشعور بالتغير يستتبع الشك حتمًا , فالتغير يعني أنه موجود جزئي , وأنه كذا وليس كذا في آن واحد, فيمتنع وصفه بخصائص دائمة ضرورية.

ولذلك كان هيراقليطس يرى أن الوجود واللاوجود كلاهما حقيقة , وأنه ليس هناك

---

(1) تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص91 – 92 .

(2) هيراقليطس جذور المادية الديالكتيكية , ثيوكاريس كيسديس , ص120

(3) تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص91

ثبات لأي شيء بإطلاق , ولا يوجد دوام وثبات مطلق , بل لا يوجد ثبات نسبي , فكما أننا في تحول دائم في كل لحظة , فكذلك على الدوام تخدعنا الحواس , وترينا أنه دوام نسبي وهو في الحقيقة ليس له دوام , كموجة البحر التي نراها في ثبات على سطح الماء حتى تصطدم بصخرة , مع أن الحقيقة هي أن الموجة وإن احتفظت بصورتها الخارجية , لكن ماءها الذي تتكون منه متغير في كل لمحة زمنية .

والوجود واللاوجود في رأي هيراقليطس ليسا ضدين وإنما هما ملتقيان ومنطبقان , بل في الكون آلاف من النقائض المتطابقة , ولو تنازعت النقائض , فليس تنازعها الظاهر في الحقيقة إلا أساس حياتها , وأنه سوف يأتي يوم تمحى فيه كل الأشياء ويسود الموت , ولهذا أنكر وجود آلهة تدبر أو تحيي(1).

ج – مدارس فلسفية أخرى : وإلى جانب هؤلاء , فقد وُصف طائفة من المدارس الفلسفية قبل السفسطائيين بأنها كانت تقول بالشك, كالمدرسة الإيلية , التي هي نقيض رأي هيراقليطس في الوجود , فهيراقليطس نفى وجود كون ثابت , وهذه المدرسة أخف منه في نفي الحقائق وجمع التناقض .

فهذه المدرسة ترى أن حقيقة الكون هي الوجود نفسه , فليست ظواهر الكون حقيقة في ذاتها , ولكن وجودها هو الحقيقة , أي أن جوهر الكون هو الكينونة الدائمة , التي لا يجوز لها أن تتحول إلى غير ما هو عليه , لا تتعلق به صفات إلا صفة الوجود وكفى , أما إدراك الحواس للجزئيات فهو وهم لا حقيقة له , ومن أعلامها الفيلسوف بارمنيدس **Parmenides** (530 – 440 ق م)(2).

---

(1) انظر : A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:88 والفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص 56- 59 و هيراقليطس جذور المادية الديالكتيكية , ثيوكاريس كيسديس , ص255.

(2) انظر : تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , 100 وتاريخ الفلسفة اليونانية , مصطفى النشار , 190/1 وتاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها إلى الحركة الهللنستية , محمد عبدالرحمن مرحبا , ص 92 .

فقد جمع بارمنيدس مذهبه في قصيدة سماها " في الطبيعة " حيث يرى أن الحواس خداعة , وأن كثرة الأشياء المدركة بالحواس أوهام لا أكثر [1].

حيث يرى أنه ليس هناك طريق للحق واليقين , وأنه لا يحس من الأشياء إلا صفاتها لأنها متغيرة متحولة غير ثابتة , كأن ترى الرجل ثم يزول بعد حين فهو موجود وغير موجود , وأَدرَك أن هناك شيئا واحدا ثابتا وهو الوجود **Being** , فصفة الوجود هي جوهر الكون , وهي التي توصَّل إليها العقل , وكل ماعداها وهم وخادع , فلا تتدخل فيه المحسوسات لأنها خداعة[2] .

ولكن الطفرة هنا مستحيلة , فالوجود يشغل حيزا ومكانا , وهذه من صفات المادة , ولذلك اختلف الفلاسفة في نسبته بين المذهب العقلي والمذهب المادي المؤمن بالحواس[3] وقد ترك هو هذا معلقا , فاختلف الفلاسفة في مشارب الأخذ منه .

وقد قسم بارمنيدس تعاليمه إلى قسمين , يسميها : طريق الحقيقة , وطريق الظن .

وطريق الظن لا يهمنا لأنه ظن , فكفانا مؤونة عرضه هنا .

وأما طريق الحقيقة , فأبرز معالمه قوله : " إنك لاتدري أنك لا تدري ما ليس بموجود , لأن ذلك مستحيل , بل لا يمكنك أن تنطق به , لأنه ما يمكن التفكير فيه وما يجوز وجوده شيء واحد , في كلتا الحالتين"[4] وإذا كانت هذه الحقيقة في نظره والتي أنكر فيها إمكانية المعرفة , فما بالك بالظن عنده .

ومغزى هذا الكلام , أنه لا يوجد تغير , فما دام أن التغير معناه أن الأشياء توجد بعد أن لم تكن , أو ينعدم وجودها بعد أن كانت , لأنك إذا فكرت كان تفكيرك عن شيء ,

---

(1) انظر : تاريخ الفلسفة , فريدريك كبلستون , ص88 وتاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 100.

(2) انظر : الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص 44

(3) وتبعه على ذلك زينون الايلي , انظر : الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص 43 وص48

(4) تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 100

وإذا استعملت اسما فلا بد أن يكون اسما لشيء , وعلى هذا , فالفكر واللغة كلاهما يستلزمان وجود أشياء خارجة عنها (1) .

ويعلق برتراند رسل على هذا التعليل من بارمنيدس بقوله : " وهذا أول مثال شهدته الفلسفة لحجاج ينبني على الفكر واللغة ثم ينتقل منها إلى العالم بأسره , وبالطبع لا يمكن قبول مثل هذا التدليل على أنه سليم لكنه حقيق منا بالنظر لنرى ماذا يحتوي من الحق " (2)

والواقع, أن الفيلسوف بارمنيدس يمكن أن يطلق عليه أبو المدرستين , اللتين هما المدرسة الذرية والمدرسة العقلية , فبعدما اتفقوا على أن الوجود ثابت لا يتغير , وأنه لا يطرأ عليه الفساد , اختلفوا إلى مدرستين , فمن أخذ المنحى المادي في فلسفته قال بأن أصل الوجود لا يطرأ عليه الفساد , وأن المادة لا تستحدث , ولا تفنى , وحدوث الأجسام يكون بتجمع الذرات المادية أو تفرقها وأما جوهرها فأزلي أبدي(3).

ومن نحى منحى الجانب العقلي في مدرسته فقد اعتمد على مقدمته السابقة وهو ما هذبه بعد ذلك أفلاطون .

---

(1) انظر : نفس المرجع , ص 100- 101

(2) تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 101

(3) وهذا المذهب الذري القائم على أن العالم يتكون من ذرات لا تطرأ عليها الفناء , وأن كل ما يصيب العالم من تغير إنما هو إعادة ترتيب للعناصر التي لا تفنى , وظلت هذه النظرة سائدة حتى اكتشفت فاعلية الإشعاع وما يترتب عليها من نتيجة , وهي أن الذرات يمكن أن يطرأ عليها الانحلال , لكن علماء الطبيعة لم يفزعوا لها , وابتكروا وحدات جديدة أضأل حجما من الذرات , أطلقوا عليها اسم الكترونات وبروتونات وهي التي تتألف الذرات من تركيبها , وهي يمكن أن تلتقي وتنفجر وتفنى , انظر : الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 95

المبحث الثانيηα

ظهور فلاسفة السلب والإنكار ضد موقف الاتجاه السفسطائي

* * * * * *

H ظهور فلاسفة السلب والإنكار ضد موقف الاتجاه السفسطائيA

ظهر جملة من الفلاسفة وقفوا موقف الإنكار ضد الاتجاه السفسطائي من أبرزهم ما يلي:

أ – سقراط : إن أول ما يتبادر إلى الذهن هو اسم سقراط في نشأة العداء بين الفلسفة والسفسطة , وهذا يعد أول من حاول أن يفرق بينهما باعتبار أن السفسطة ليست فلسفة وحكمة , وإنما هي مغالطة, وها نحن ننقل شيئا من أقوال سقراط في وصف السفسطة والسفسطائيين , حيث نجده في بدء الأمر فرَّق بين فئتين من السفسطائيين , ألا وهما:

المجادلون[1] : وهم الذين كرسوا أنفسهم لوضع النظريات في مجال الأخلاقيات، وسفسطائيو المدرسة البلاغية[2] والذين درسوا الخطابة كأداة للنجاح العملي فيقول في أطروحته للخطابة[3] :(حقا، من ذا الذي لا يكره أو لا يحتقر هؤلاء المدرسين الذين كرسوا أنفسهم في المقام الأول للمجادلة، ذلك لأنهم تظاهروا بالبحث عن الحقيقة في حين أنهم في بداية حياتهم المهنية يحاولون مباشرة خداعنا بالأكاذيب؟) [4]

ويصف فلاسفة السفسطائية بأبشع الألفاظ حينما يقول : (إلا أن هؤلاء الأساتذة قد تجاوزوا في عدم تورعهم لدرجة أنهم يحاولون إقناع شبابنا بأنهم إذا درسوا على أيديهم فقط، سيعلمون ما يفعلون في الحياة، ومن خلال تلك المعرفة سيحققون السعادة والرخاء، بل والأكثر من ذلك، بالرغم من أنهم نصبوا أنفسهم كسادة وموزعين لتلك السلع الثمينة

---

1) ويسميهم Eritics

2) ويسميهم rrhtorical

3) اسمها Antidosis

4) انظر : : Geore Norlin, Isocrates with an English Translation (Harvard University Press,1980) pp.63

للغاية)[1]

وهكذا نجد أن سقراط هاجم بكل عنف مضامين السفسطائية وفنَّدها , وبيَّن تهافت ركيزتهم الأولى وهي عدم إمكانية المعرفة , إلا أننا نقف في أشد الحيرة أمام بعض النقولات التي تلفظ بها سقراط , كقوله : (أنا لا أعرف شيئا بل لا أعرف أني لا أعرف)[2].

فهل يعقل أن سقراط قد أصابته لوثة السفسطائية في بعض أحايينه , أم أنه قالها من باب التبكيت لهم والاستدراج لإقامة البراهين , أم أنه قالها في أمر معين , لا نعلم.

ولذلك ترى الباحثة **Mary Louise Gill**ماريا لويس جيل , والباحث **pierrepellegrin**: بيري بيلقرين , أن سقراط يمكن أن يعد من السفسطائيين[3]

ولا شك أن هذا الرأي سيُفقد سقراط صوابه غضبا لو اطلع عليه .

ب – أفلاطون : يجتهد أفلاطون في أطروحاته ضد الاتجاه السفسطائي في إخراج السفسطة من المنظومة الفلسفية, وخاصة في محاورات أفلاطون السقراطية, والتي بالنظر إلى مجرياتها تحاول جعل السفسطائية بمنأى عن الممارسة والمحاكاة الفلسفية الأنطولوجية التي تتعلق بالوجود[4]

ولا شك أن أفلاطون أراد بذلك إظهار السفسطائية بأنها قول خارج عن جوهر وماهيات وتفكير الفلسفة الأنطلوجية ليثبت انتصاره وصحة اتجاهه في التيقن من إمكانية المعرفة .

فنرى أفلاطون تبع تعاليم أستاذه سقراط في الهجوم على تعاليم السفسطائية , ونراه

---

(1) نفس المرجع , ص 65

(2) انظر : الفلسفة ومشكلاتها , محمد جلال شرف , ص 113 ومشكلة الفلسفة , زكريا ابراهيم , ص197-188

(3) انظر : A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:77

(4) انظر : انظر :الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 134والاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص 29

يصف الاتجاهات السفسطائية بأنها عديمة الفائدة والكفاءة , وأن أصحابها انتحلوا الفلسفة , وأفسدوا أكثر مما أصلحوا , وتراثهم عبارة عن أكاذيب ومغالطات وترهات , لأنه يرى أن الحقيقة هي الثبات لا التغيير , وقد أثار أفلاطون تلك الإشكالات عبر محاوراته مع كل من بروتوغوراس وغورغياس في محاوراته الوهمية , وهما من مشاهير فلاسفة السفسطة فأبطل كثيرا من حججهم ومتبنياتهم , ورد عليهم فيما ينسبون إلى الحواس , لأنها تمثل معارف متناقضة – في نظر أفلاطون – وهي لا تزود الفكر الإنساني بأي معرفة, ولهذا تنقَّص من السفسطة بكل سخرية , وربما نسب إليهم بعض الأقوال التي لم يقولوها على سبيل التهكم والسخرية(1)

وقد انتصر أفلاطون للعقل على الحس , فقد بين أفلاطون في إحدى محاوراته خطأ المعرفة بالحس , وبين أن الحس يختلف من فرد إلى فرد , ثم إن الحس قد يصدق وقد يكذب , وليس كل معرفتنا متعلقة بالحس , فلدينا خصائص عامة للأشياء كالوجود واللاوجود , والخير والشر , والماهية , وهي لا تعرف بالحس وإنما بالعقل مبرزا جانب المُثل العقلية الثابتة في فلسفته(2)

ويرى بعض المؤرخين كبرتراند رسل أن من أسَّسَ المعرفة الثابتة العقلية هو فيثاغورس وليس أفلاطون , حيث يقول : (فلست أعلم أن رجلا كان له من التأثير في نطاق الفكر ما كان لفيثاغورس , وأقول ذلك لأن ما قد يبدو لك أفلاطونيا ستجده عند التحليل

1( ) انظر : A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:78 , والفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 134 الاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص 32 -33 و K. J. Dover, Greek Popular Morality in the time of Plato and Aristotle (Berkeley: University of California Press, 1974), pp. 10-11.

2( ) انظر : J. Burnet, greek Philosophy, Thales to Plato, Macmillan London, 1914, reprinted, 1964, P205 نقلا عن نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين ص18-19

فيثاغوريا في جوهره , فكل الفكرة القائلة بوجود عالم أزلي ينكشف للعقل ولا ينكشف للحواس مستمدة من فيثاغورس)[1]

غير أن ما يدعيه برتراند رسل , لا يظهر جليا في فلسفة فيثاغورس , اللهم إلا الفلسفة الرياضية , وهذه قد شاركه فيها غيره , ثم إنه لم يقل بالمثل العقلية فيما نقل عنه , غير أنه يستأنس به في بيان نشأة الاعتماد على المعارف العقلية .

وفي الحقيقة , يظهر أن أفلاطون في منهجه المعرفي[2] قد أصيب بإحدى لوثات السفسطائية هو الآخر أيضا ,كما أصيب بها أستاذه سقراط , ويظهر ذلك في الازدواجية التي تميز بها أفلاطون , حسب ما يظهر , حيث نراه يشن هجومه اللاذع على السفسطائية الشكاك، بينما نراه كثيرا ما ينتهج منهج التشكيك في القضايا في محاوراته ولا تحسم القضايا

---

(1) الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 80

(2) يرى في موقفه الإيجابي من نظرية المعرفة أن الموجود الحق هو الذي يتصف بالثبات المطلق وعدم التغير , ولذلك رأى أن هناك وجودا ثابتا لا يتصف بالتغير مفارق للعالم المحسوس الذي يتصف بالتغير وهو ما يسميه بعالم المثل , وندركه بالعقل والتأمل , ورأى أن تفسير المتغير بشيء متغير لا يصح بل يفسر المتغير بشيء ثابت , فالعالم المحسوس مشحون بالتناقض من وجهة نظر أفلاطون فهناك مثلا فرق بين مثال الدائرة المستديرة والبرتقالة , رغم أن الظاهر أن كلاهما مستديرا , فاستدارة الدائرة تامة كاملة بينما استدارة الشيء المحسوس المستدير ليست كاملة , فقد يبدو دائريا في وقت ما وبيضاويا في وقت آخر , فاستنتج أفلاطون أنه لا يوجد في ذلك ثبات بمعنى الكلمة , ولذلك توصل إلى أن ما يتوفر فيه الثبات المطلق والكمال هو موضوع المعرفة بالمعنى الدقيق , إذن فموضوع المعرفة هو عالم المثل , ويدرك بالعقل , ولذلك هو أول من نادى بالنظرية العقلانية في المعرفة Rationalism وهي أن ما يمكن معرفته حقا هو الحقائق الضرورية ونصل إليها ببراهين قبلية , ومن ثم توصل إلى التفريق بين المعرفة والظن أو الاعتقاد فالسمة الرئيسة للمعرفة هي الصدق والكذب بينما الظن أو الاعتقاد قد يصدق وقد يكذب , فقد أعرف قضية ولكن لا أعتقد بها أو اعتقد قضية لا أستطيع إقامة البراهين على صحتها The Encyclopedia of Philosoph, edited by Paul Edwards, Macmillan, London, 1967, Vol. 4,p 345,art: Knowledge and belief نقلا عن نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين ص21 وانظر : نظرية لفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 205

بل يتركها عالقة دون أحكام (1).

ونراه كذلك يصرح بوجود المعرفة الموضوعية بينما نراه يميل إلى المثالية والخيالية في مصدر المعارف الموضوعية .

ولهذا ترى الباحثة **Mary Louise Gill** ميري لويس والباحث **pierrepellegrin** بيري بيلرينق أن هناك مزايا مثيرة للدهشة ومزايا مشتركة بين السفسطائيين وسقراط وأفلاطون , حتى في طريقة عرض الحجج، "فطريقة سقراط في النقاش المبني على المنطق لا يمكن تمييزها عن طريقة النقاش الخاصة ببروتوجوراس السفسطائي , وكذلك عدد من الحوارات الخاصة بأفلاطون في مجموعها أو جزء منها تمارس فيما هو ضد المنطق "(2)

ومما يعضد هذا الطرح أيضا , هو أننا نجد أن أحد أهم إفرازات المدرسة الأفلاطونية هو تبني بعض تلامذة أفلاطون الاتجاه السفسطائي مثل أجاثوكلس ومن بعده الأكاديمية الأفلاطونية التي جنحت كليا إلى هذا الاتجاه فيما بعد .

وقد صدق برتراند رسل حينما يقول عن أفلاطون : " إنه متعدد النواحي , ويمكن اعتباره من بعض وجوهه مبشرا بتعاليم الشك"(3) .

وعلى كل حال , فيمكن القول بأن هذه النزعة الشكية في مدرسة سقراط ومدرسة أفلاطون هي نزعة معينة في حكم معين وليس في كل القضايا , أو أنهم جنحوا الى هذه الازدواجية من باب إقامة البرهان على السفسطائية وتبكيتا للمخالفين , هذا إذا ما أردنا الاعتذار لهما.

ج – أرسطو : ثم جاء بعد ذلك تلميذ أفلاطون النجيب وهو الفيلسوف أرسطو فرأى أن المعرفة تكون في معرفة الأشياء الثابتة , وهنا وافق أفلاطون مع أنه لم يقبل مُثُلَ أفلاطون

---

(1) انظر : تاريخ الفلسفة الغربية , لبرتراندرسل , ص 368

(2) A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin,pp:95

(3) الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 367

ورأى أن الأشياء الثابتة تكون في صور الأشياء المحسوسة , أي الصور المنبثة في المادة , ورأى أن العالم المحسوس هو موضوع معرفة , وليس موضوع ظن كما رآها أفلاطون, ولكن لا يمكن معرفته إلا بمعرفة صورته وعلته , وهنا يجب البرهنة عليه , وتكون البرهنة من مبادئ أولية قبلية , وهي تعرف بنوع من الحدس , مع أنه لا يجب البرهنة على كل شيء[1].

هذا موجز رأي أرسطو في المعرفة , وهو كما ترى , بعيد كل البعد عن المنهج السفسطائي , وأقرب إلى المعرفة الموضوعية من رأي أفلاطون, وبناء على هذا المنهج شن هجومه اللاذع على السفسطائية , فنراه يسلك نفس مسلك أفلاطون في دحض الفلسفة السفسطائية مع تغيره في أدوات النقد تغييرا طفيفا إلا أنه قسا عليهم بنفس قسوة أستاذه أفلاطون.

ومن وجهة نظر أرسطو في تعريف السفسطائية, فإنه يعرّفهم بأنهم هم الذين دافعهم هو المال وأنهم يحاولون أن يظهروا أذكى بكثير مما هم عليه , ويعرف أرسطو فن السفسطة "بأنه مظهر من مظاهر الحكمة غير الواقعية" والسفسطائي بأنه "الشخص الذي يجني المال من الحكمة الظاهرة ولكن غير الواقعية"[2].

ويقرر أرسطو أن السياسية هي التي تضع علم الأخلاق وتنظمه , وهو علم مستقل له منافعه , ويقدم من خلال هذا المبنى تربية الدولة للنشء على تربية المنزل عبر قوانين وتشريعات يتعين على الدولة الالتزام والسهر على سلامتها وديمومتها وهي نظرة متفائلة ذات بعد مثالي إلا أنها ربما كانت تلائم ذلك العصر[3].

---

(1) انظر : نظرية لفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 267 و-270 والمعرفة عند مفكري الاسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين ص23

(2) انظر : C. Joachim Classen, "Aristotle's Picture of the Sophists," in G. B. Kerferd, ed., The Sophists and Their Legacy (Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1981), pp. 7-24.

(3) انظر : الاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص 32 -33

المبحث الثالثηα

ظهور مذاهب الشك المتأثرة بالسفسطائية في الفلسفة اليونانية في العصر الهلينستي

* * * * * *

H ظهور مذاهب الشك المتأثرة بالسفسطائية في الفلسفة اليونانية في العصر الهللنستي A

العصر الهلنستي هو : اصطلاح تاريخي أطلق على الفترة الزمنية الممتدة من وفاة الإسكندر عام 323 ق.م. حتى قيام الإمبراطورية الرومانية على يد أوغسطس في عام 30 ق.م. وقد سمي بهذا الاسم تمييزاً له عن الفترة الإغريقية، وهي الهلينية الصحيحة، وعلى أساس أن الحضارة الجديدة منتسبة إلى هذه الحضارة، أو متأثرة بها. ويختلف المؤرخون في تحديد معنى لفظة "هلنستي"، وان كان الجميع يتفقون على أن الهلنستية عنوان مناسب للدلالة على حضارة القرون الثلاثة السابقة للميلاد، التي كانت فيها الثقافة الإغريقية تسود، وبعضهم يرجعها حتى القرن الخامس قبل الميلاد , وهي مأخوذة من كلمة إغريقية "هيلينيزية"(1) .

وهناك جملة من المدارس التي عصفت بها الأفكار السفسطائية , والتي ظهرت في العصر الهلنستي اليوناني , والتي تبنت مقدمات المنهج السفسطائي ويمكن أن يُذكر أبرزها فيما يلي:

1 – مدرسة بيروPyrrho– الشكاك 365–275ق م :

بيرو هو أحد فلاسفة الشك المشهورين المتأثرين بالنزعة السفسطائية , بل هو أول من بشّر به كمذهب في العصر الهلنستي , وقد اشترك بيرو في الحملة التي سيرها الإسكندر إلى الهند , وهو من مدينة إيليس, ولم يخلف لنا بيرو كتبًا نعرف منها آراءه الفلسفية, وإنما نعرف عنه من تلميذه تيمون(2) , وبقية تلاميذه, فهم الذين قاموا بتدوين أرائه، فهو لم

---

(1) انظر : قصة الحضارة , 3/2 ومدخل لقراءة الفكر الفلسفي , مصطفى النشار , ص 141

(2) انظر : الفلسفة الغربية , برتراند رسل, الكتاب الأول , ص 365 وقصة الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص 306 و C. Joachim Classen, ''Aristotle's

⇦ =

يعبأ بالتدوين كما هو معروف عنه , فكان يورد احتمالين في كل قضية على نحو السلب والايجاب[1], وإنما جذب إليه كثير من الأتباع بخطبه الرنانة وكلامه المشوق , وكانت هذه المدرسة معاصرة لمدرستين مهمتين في تاريخ الفلسفة هما الأبيقورية والرواقية[2] , ولكن كانت مدرسة بيرون تسخر من أفكارهما , واشتهر على نطاق واسع , ولهذا تأثر بمدرسته رؤساء أكاديمية أفلاطون مثل إرسيزيلاوس 325–240ق م وكارينادس 312–129 ق م[3]

ويرى برتراند رسل أن بيرو لم يأتِ بجديد في الأغلب , سوى ما تناول به الشكوك القديمة من تنسيق وصياغة [4]

وتدور فلسفة بيرون حول قضايا ثلاث:

أ – أننا لانستطيع أن نعرف شيئًا عن طبيعة الأشياء.

ب – أننا إذا كنا لانستطيع أن نعرف شيئًا فإننا نتوقف عن الحكم.

ج – إذا توقفنا عن الحكم تنشأ حالة عدم الاكتراث وسكون النفس , وهذه الحالة في نظره هي الفضيلة أو السعادة[5] .

وبهذا ينكر بيرون ومدرسته أن يكون للمعرفة الحسية أو للمعرفة العقلية أدنى قيمة

Picture of the Sophists," in G. B. Kerferd, ed., The Sophists and Their Legacy (Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1981), pp. 7-24.

(1) انظر : الاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص79

(2) انظر: تفصيل هاتين المدرستين في الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 375وص 391

(3) انظر: نظرية المعرفة عندي مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين , زيدان , ص 32-33 وقصة الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص 307

(4) انظر : الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 365

(5) انظر :مقدمة في الفلسفة العام , د /يحيى هويدي,.ص١٠٢ وخريف الفكر اليوناني , د /بدوي ص٩٩ وموسوعة الفلسفة د/بدوي17/2

لمعرفة حقائق الأشياء لأنها لا تصل إلا إلى الظاهر [1] وكان يقول دائما" : لا أدري ولا أدري أني لا أدري[2] ومن أقواله أيضا : "إن كل قضية تقبل السلب والإيجاب بقوة متعادلة"[3]

وعلى هذا الأساس , يرى أنه يجب أن نتوقف عن الحكم , لأنه إذا كان كل شيء ظاهريا فحسب, وليس هو في ذاته لم يكن أمامنا إلا الاحتمال والتوقف عن إصدار الحكم, ولذلك لا نستطيع أن نتأكد من شيء ولو كان تافها , ومن ثم كان هو وأتباعه لا يصدرون على الأشياء أحكاما قاطعة فهم لا يقولون: إن الحق كذا , وإنما يقولون : يظهر لنا كذا وربما كان كذا , ومن المحتمل كذا , ونحو ذلك , وكما قالوا ذلك في الأشياء المادية , فقد قالوه في القانون والأخلاق , وفي الأشياء المعنوية أيضا , فلا شيء في نفسه حق , ولاشيء في ذاته خير أو شر , وإنما هو خير في رأيي أو رأيك أو حسب القانون والعرف [4]

ولهذا كما يقول برتراند رسل أن بيرو قد أضاف التشكك الأخلاقي والمنطقي إلى التشكك الخاص بالحواس , فيقال إنه ذهب إلى أنه من المستحيل على الإنسان أن يجد أساسا عقليا يبرر به مسلكا دون آخر , ومعنى ذلك , من الوجهة العملية , هو أن الإنسان من حقه أن يساير العادات في أي بلد يحدث له أن يقيم فيه .[5]

وقيل , إن حياته كانت مطابقة لشكه المطلق , فكان لا يحذر مهالك الطريق ولذلك كان يترك قياده لتلاميذه , ويذكر عنه أنه بينما كان يعبر الطريق , رأى عربة قادمة تقترب منه , فقال: هذه تشبه العربة, ولكن كيف يتسنى لي أن أتأكد من أن حواسي لا

---

(1) انظر : خريف الفكر اليوناني , ص 99

(2) انظر : الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها, د/ توفيق الطويل, ص ١١٩.

(3) أسس الفلسفة, د/ توفيق الطويل, ص.٣06

(4) انظر: قصة لفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود , ص 307

(5) انظر : الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 365

تخدعني؟

وفي أثناء تقديره لهذا الخاطر أقبلت العربة ودهمته, وتجمع تلاميذه من حوله وأقالوه من عثرته ونفضوا عن ثيابه التراب(1).

وقد طور أتباع بيرون مدرسته من بعده , فبرز بها الفيلسوف أناسيداموس , حيث أيد مذهب الشك السفسطائي بالحجج المتينة , وأيدها بالعلوم , وعرف مذهبه باسم مذهب الشك الجدلي , ومجمل آراء أناسيداموس مدونة في كتب الفلسفة القديمة , وهناك ما يمكن ملاحظته عن المدارس الشكية في أنها تميزت بعدم التدوين من قبل زعمائها (2).

ومن أبرز تلاميذه الشكيين أيضا تلميذه تيمون , الذي خالف المنطق اليوناني بإقامة الحجج في نقيضه , فالمنطق الوحيد الي قبله اليونان كان هو المنطق القياسي , أي كل استنباط قياسي لا بد أن يبدأ من مبادئ عامة , تعد واضحة بذاتها , فجاء تيمون وأنكر إمكان إثبات مثل هذه المبادئ , وبناء على ذلك , فلابد لكل شيء أن يستند في برهانه على شيء آخر , وبهذا يصبح كل جدال وحجاج إما دائريا أو سلسلة لا نهاية لها , وفي كلتا الحالتين يستحيل إقامة البرهان على شي (3).

2– أتباع مدرسة الشك التجريبي :

برزت هذه المدرسة على يد الفيلسوف الطبيب سكستوس , وقد كان من

---

(1) انظر: المدارس الفلسفية في العصر الهلنستي, د/ أحمد الكيلاني,ص.373

(2) انظر: الاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص80 وتاريخ الفلسفة اليونانية , يوسف كرم , ص 61 وموسوعة الفلسفة , عبدالرحمن بدوي , 17/2 والفلسفة الإغريقية , محمد غلاب , 122/2

(3) انظر : قصة الفلسفة اليونانية , أحمد أمين وزكي نجيب محمود ص 258 وتاريخ الفلسفة اليونانية , يوسف كرم , ص 313 ونظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين , محمود زيدان , ص 33 والخصوبة والخلود في إنتاج أفلاطون ص 53

(4) انظر : الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأ,ل , ص 366

أواخر الشكّاك اليونان وأكثرهم جرأة، وكان طبيبا ذائع الصيت ماهرا في صناعة الطب، في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث قبل الميلاد , وهو واحد من الأطباء الذين سموا بالتجريبيين لاعتمادهم على التجربة فقط , وقد ترك مجموعة من الحجج ضد العلم والمعرفة، في كتابه **Adversus mathematicos** والذي يعني "ضد معلمي المعرفة "(1).

وهذا الشّاك التجريبي لا يكتفي بإنكار اليقين في علوم النحو والبيان والموسيقى والفلك فضلا عن الفلسفة وعلومها، بل هو يصل إلى حد إنكار اليقين في البديهيات كالرياضيات كالهندسة والحساب , فاليقين بالنسبة له ليس ميزة لأي علم من العلوم، ففي الرياضة كما في علم الطبيعة والأخلاق و المنطق كل شيء غامض مبهم مثير للشك والتناقض سواء في النظريات أو في المناهج.

ونفى وجود كل سبيل الى اليقين , فنفى القياس الاستقرائي المعمول به عند المناطقة والطبيعيين كقولهم كل إنسان حيوان , وذلك لأن القضية الكبرى لا تكون صادقة , إلا إذا كانت النتيجة معلومة من قبل , فهو يقرر أن الاستقراء لا يتناول إلا بعض الجزئيات , فتكون نتيجته الكلية غير منطقية , وذلك لعدم الجواز في صورة الانتقال من البعض إلى الكل , فهو يرى الاستقراء ممتنعا تاما كان أو ناقصا مع استبعاد وجود استقرائي تام , فينتج أن البرهان القياسي والاستقرائي ممتنع أيضا(2).

وقد كان منهج سكستوس في مؤلفاته على مقابلة العقائد الفلسفية بعضها ببعض وبيان أن الاعتراف بحقيقة من الحقائق يؤدي إلى نفي حقيقة أخرى، أي في خاتمة المطاف إلى إلغاء كل حقيقة.

وقد أصبحت هذه الحجة هي حجة بيان تناقض المذاهب الفلسفية بعضها ببعض، ولهذا فإن أهمية سكستوس أمبريكوس ليست في أنه أتى بشيء جديد، وإنما فيما خلفه لنا

(1) انظر : تاريخ الفكر الفلسفي :أرسطو والمدارس المتأخرة، محمد علي أبو ريان، ص 311.

(2) انظر: الاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي, ص82-83

من عرض لمذهب الشكاك القدماء والمحدثين حيث إن كثيرا من مذاهب الفلاسفة قد ضاعت كتبهم, فمن خلال تصديه لمختلف الفلسفات القديمة بالنقد والتهجم، أعاد رسم تاريخها، ومدنا بمعلومات عن كبار الفلاسفة اليونان.

3 – الأكاديمية الأفلاطونية :

وهي الأكاديمية التي أنشأها أفلاطون في أثينا , وكانت تدرس الرياضيات والمنطق والفلك وغيرها , وتولى أفلاطون التدريس فيها قريبا من أربعين سنة , واستمرت الأكاديمية على نحو فلسفة أفلاطون المؤسس الأول , واستمر هذا النهج حتى تولى رئاستها أركسيلاس[1] عام ٢٦٨ق م , فأحدث فيها تطوراً هائلاً وتاريخيا[2] , حيث رفض ميتافيزيقيا أفلاطون الغيبية وتصوفه , وأخذ بمنهج سقراط , ونقدالرواقيين نقداً شديدا ورفض اعتقادهم بوجود حقائق لا تقبل الشك, وقال بمذهب الاحتمال , وزعم أن اليقين ليس ضروريا للعمل , واصطنع القاعدة الرئيسة عند الشكاك , وهي مناقشة القولين المتناقضين للقضية الواحدة , والاستماع إلى الرأي الآخر , دون تحيز , واستخدام الصيغ الشكية , مثل "يبدو "و"ربما "و "قد يكون ..."حتى أطلق البعض على فلسفته اسم مذهب الشك الاحتمالي[3].

---

(1) رأس أكاديمية أفلاطون بعد إقريطس ولد نحو ٣١٥ق.م ببيتان من أعمال أيولية وكان وسيما خطيبا مفوها واصطنع منهج سقراط وادعى مثله الجهل وتوجه بنقده الشديد إلى الرواقيين وكان أول من قال بالشك من تلاميذ أفلاطون وتوفي نحو ٢٤٠م.ق موسوعة الفلسفة والفلاسفة ومتصوفة اليهودية , عبدالمنعم حفني ١/١٢٧

(2) انظر:تاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 367

(3) انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة, عبد المنعم حفني127/1 وتاريخ الفلسفة اليونانية , يوسف كرم , ص 313 ونظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين , محمود زيدان, ص 33 والخصوبة والخلود في إنتاج أفلاطون, ص 53 وتاريخ الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 368

لقد أضحى أركسيلاس معروفا بين أقرانه بالاحتمالي, وعرف بالشكي السفسطائي , وقد كان له الأثر الأكبر في تغيير مسار منهج أكاديمية أفلاطون عن منهجه , حيث تبعته المدرسة بعد ذلك على هذا النهج , ما بين أفول وخفوت حتى تزعمها فيلسوف سفسطائي آخر وهو كرنيادس 214-128 ق م وذاع صيته عبر خطبه , وجادل الرواقيين وأنكر وجود علامة للحقيقة , فضلا عن نقده للحواس والأعراف , وأيد الاحتمال والترجيح جريا على منحى أركسيلاس(1)

ومن أبرز أقواله :

أ – لا يمكن البرهنة على شيء , لأن النتيجة يجب أن يبرهن عليها بالمقدمات , والمقدمات تحتاج إلى برهان وهذا هو التسلسل.

ب – لا يمكن أن نعرف إن كان رأينا في شيء حقا أو لا , لأننا لا نستطيع المقارنة بين الشيء ورأينا , لأن ذلك يتطلب أن نخرج من عقلنا فنحن لا نعرف عن الشيء إلا رأينا فيه.

فكان من المستحيل المقارنة بين الشيء وصورته في ذهننا لأننا لا ندرك إلا الصورة(2).

أما المتأخرون من شكاك الأكاديمية , فقد تميزوا برجوعهم إلى تعاليم بيرو , وقد انقسم أتباع الأكاديمية في تلك المرحلة إلى قسمين , شكاك , وأكاديميين , كما ميز بينهم الفيلسوف الأكاديمي أناسيداموس, أو انيسيديموس **Aenesedimus**– الذي اشتهر بوصفه للمبادئ العشرة التي بين فيها استحالة المعرفة(3) حيث ذكر أن الأكاديميين يقولون" :إنه لا شيء محقق, ثم يغرقون بين المحتمل وغير المحتمل, والخير والشر والحكمة والحماقة... أما الشكاك فلا يوجبون ولا يسلبون أصلا(4).

---

(1) انظر : الاتجاهات الفلسفية , رحيم موسوي , ص80

(2) انظر: قصة الفلسفة اليونانية د/ زكي نجيب محمود, ص309

(3) انظر : نفس المرجع , ص 310

(4) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية, يوسف كرم,ص.292

وقد استمرت الأكاديمية مائتي سنة على مذهب الشك السفسطائي بعد اركسيلاس وكان من أبرزهم كارنيدس الذي كان يلقي محاضرة تتكون من خطبتين يتكلم في الخطبة الأولى عن آراء أفلاطون وأرسطو في العدل , محتجا لهما ومبرهنا , ويتكلم في الخطبة الثانية عن تفنيد رأيهما في ذلك معتمدا على براهين تفند كل ماذهبا إليه(1).

والواقع أن مدرسة بيرو وأكاديمية أفلاطون بعد غلبة تأثرها بآراء السفسطائية أصبحت تقبع بين الشك المعتدل والشك المتطرف , أما الشك المعتدل فيرى استحالة الوصول إلى معرفة حقيقة الأشياء معرفة يقينية , وإنما تعرف بطريق الإدراك الحسي , ولا معرفة لنا فيما تجاوز هذا الإدراك, ثم إن هذا الإدراك الحسي يمدنا بمعرفة ظنية محتملة , لا يقين فيها , فنقبل القول أن عسل النحل يبدو لنا حلو , ولا نقبل أنه حلو بإطلاق , مع اختلافنا في الإدراكات .

وأما الشك المتطرف , فيحكم بأنه لا يقين لنا في الإدراك الحسي , وبالتالي , لا يقين في افتراض مطابقة الظواهر لذلك الإدراك , طالما لا نستطيع الخروج من إحساساتنا , وليس لدينا معيار لتمييز الطريق الحسي الصحيح من الإدراك الحسي الكاذب أو المخادع , والحواس خداعة(2).

(1) انظر:الفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول , ص 368 , وهذا من باب إظهار المهارة السفسطائية في نفي كلا المتناقضين .

(2) انظر : The Encyclopedia of Philosoph, edited by Paul Edwards, Macmillan, London, 1967, Vol. 4, P345,art: Knowledge and belief.
نقلا عن نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب , ص30

الخاتمـــــة

الخاتمـــة

وفي ختام هذا البحث يمكن أن نوجز أهم النتائج فيما يلي :

- احتدم الخلاف بين فلاسفة السفسطائية وبين عموم الفلاسفة عند ظهور السفسطائية وامتد هذا الخلاف حتى العصور المتأخرة في تأييد أو معارضة المناهج السفسطائية .
- تحليل المنهج السفسطائي ومناقشة حججه وبيان أسسه أمر في غاية الأهمية لمن أراد الوصول إلى قواعد منهج الشك بوجه عام .
- نشأت السفسطائية إبان القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد , فظهرت في شكل اتجاهات تنوعت بتعدد فلاسفتها , وأصبحت لهم جماهير عريضة .
- كان السفسطائيون يعتبرون أساتذة الفلسفة في أعين كثير من أفراد المجتمع اليوناني ولذلك كان يطلق اسم السفسطائي بمعنى الأستاذ أو المعلم .
- تحول مفهوم السفسطائي إلى معنى المغالط أو المشكك على يد سقراط وأفلاطون وأرسطو .
- تنوعت مدارس السفسطائية تنوعا يستحيل معه إرجاع فلاسفة السفسطائية إلى مدرسة واحدة أو منهج معين .
- يمكن ذكر أبرز الاتفاقات التي اتفق عليها السفسطائيون على تنوع مناهجهم ومنها أنهم ينكرون أي حقيقة موضوعية , وأنه لا وجود للمحسوسات , وبنسبية المعرفة ويرون أنه لا يمكن العلم بأي موضوع على نحو ثابت أو جازم .
- من أبرز آراء السفسطائية هو أنهم اعتمدوا النسبية , فالحق في نظرهم لكل إنسان هو ما يبدو له , فتتعدد الحقيقة بتعدد الأفراد .
- من أبرز فلاسفة السفسطائية اليونان بروتوغوراس **Protagoras** الذي اشتهر بمقولة " الإنسان مقياس كل شيء " .

فمدار وجود الأشياء وعدمها على حكم الأفراد وليس المجتمع – في نظرهم – .

– اعتمادا على منهج النسبية يرى بروتوغوراس بنسبية الأخلاق , حيث يرى أن القيم الأخلاقية تتغير بتغير الزمان والمكان .

– من أبرز أعلام السفسطائية أيضا جورجياس Gorgyas الذي قرر أنه لا وجود لشيء , وإذا وجد فلا يمكن معرفته , وإذا عرف فلا يمكن نقله للغير .

– من أبرز أسباب نشأة السفسطائية الخاصة , أنهم رأوا عدم صدقية الحواس , واختلاف الناس في آرائهم وعقائدهم , ويرون امتناع البرهان التام , وامتناع الدليل على صدق العقل .

– من أبرز عوامل نشأة السفسطائية العامة , هي النزاعات المريرة بين الفرس واليونان , والتي احتاج معها الفلاسفة لاختراع أفكار جديدة لجني مزيد من الأموال , بالإضافة إلى ما خلفته الحروب من تلاقح أفكار عديدة من مختلف الاتجاهات , فنتج عنه الشك في كل تلك الأفكار .

– من أبرز القضايا التي قام عليها المنهج السفسطائي , هي قضية المعرفة , حيث يرون امتناع المعرفة , واختلفوا في قضية إثبات وجود الإله , فمنهم من أثبته ومنهم من نفاه .

– الذين رأوا التشكيك في وجود الإله من السفسطائيين أقاموا عدة أدلة تؤيد منهجهم

– أثرت السفسطائية في نشأة مدارس شك كبرى تبعتها جماهير غفيرة في العصر الهليني , من أبرزها مدرسة بارمينيدس الذي يرى أنه ليس هناك طريق للحق واليقين , ومدرسة هيراقليطس الذي كان يجمع بين الضدين ونفى جميع المحسوسات والميتافيزيقيات , ومنها نفي وجود الإله .

– ظهر فلاسفة في مضادة السفسطائية ووقفوا موقفا عنيفا تجاهها من أبرزهم سقراط وأفلاطون وأرسطو .

– ظهرت مدارس شكية كبرى في العصر الهلنستي , من أبرزها مدرسة بيرو , وأتباع مدرسة الشك التجريبي على يد الفيلسوف الطبيب سكستوس وأتباع الأكاديمية الأفلاطونية

– أثر المنهج السفسطائي على كثير من المناهج التي اعتمدت الشك كمنهج أساسي من

أتباع الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية في نظرتهم إلى الوجود الفيزيقي والميتافيزيقيي , لم نتطرق إليها خلال هذا البحث , والله أعلم

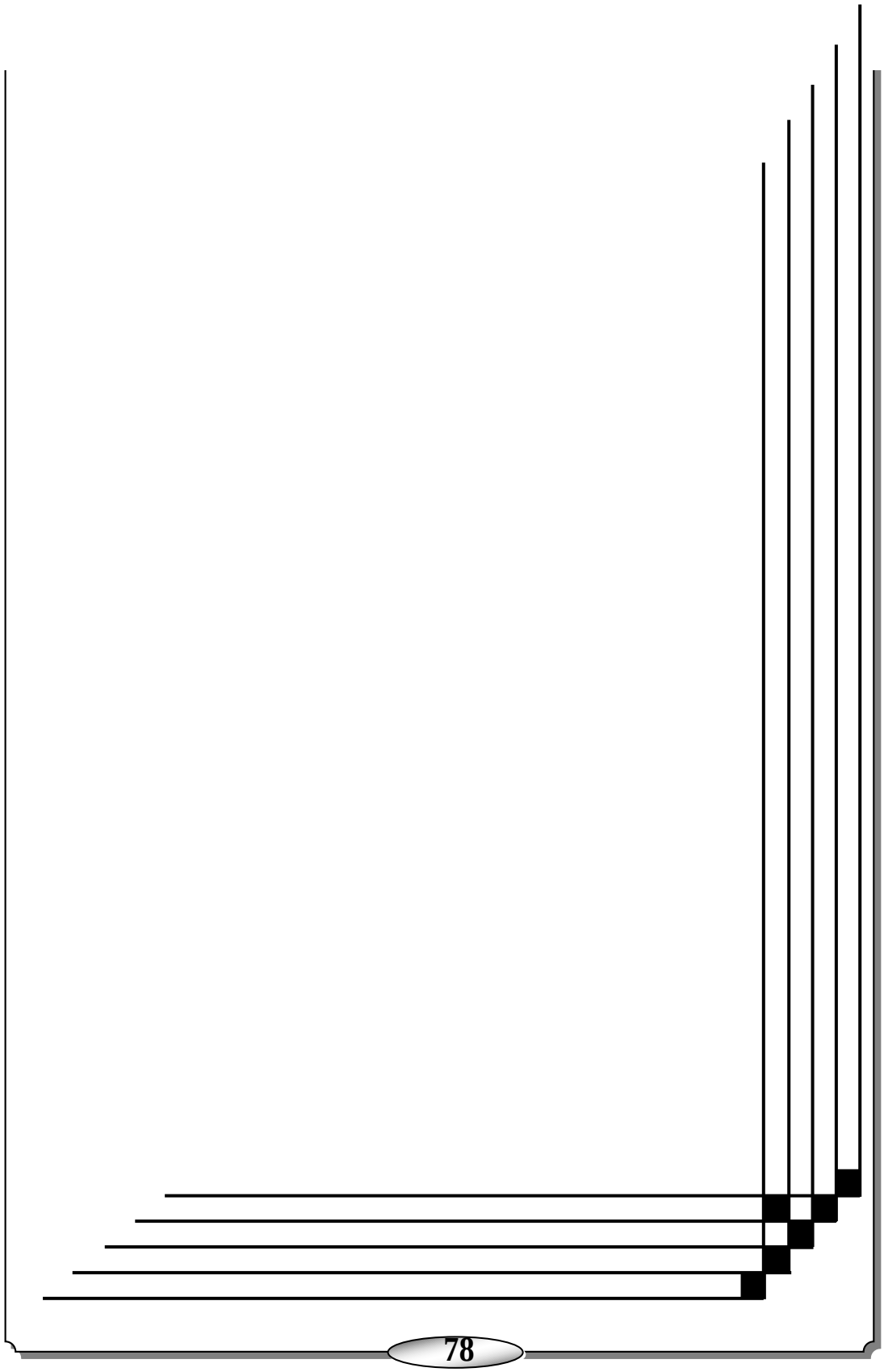

الفهارس

% 1- فهرس المصادر والمراجع .

% 2- فهرس الموضوعات.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية:

م	المصدر او المرجع
	الاتجاهات الفلسفية , عرض وتحيلي , رحيم الموسوي , دار المحجة البيضاء , بيروت , 2011م , الطبعة الأولى .
	حقيقة إخوان الصفا , د/ عادل العوا ,الأهالي للطباعة والنشر, دمشق, الطبعة الأولى .
	أفلاطون , عبد الرحمن بدوي , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , 1964م
	تاريخ الفكر الفلسفي :أرسطو والمدارس المتأخرة، محمد علي أبو ريان , بدون اسم و سنة الطبع .
	تاريخ الأدب اليوناني , د/ محمد صقر , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , 1956م
	تاريخ الفلسفة اليونانية , وولترستيس , ترجمة , مجاهد عبدالمنعم , دار الثقافة للنشر والتوزيع , القاهر , 1984م
	تاريخ الفلسفة اليونانية , يوسف كرم , طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر , 1936م
	تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها إلى الحركة الهللنستية , محمد عبدالرحمن مرحبا , مؤسسة عز الدين , ط الاولى , 1993م
	تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ,د /مصطفى النشار ,دار قباء , 1998م .
	تلخيص السفسطائي, لابن رشد.
	الجبائيان ابو علي وابو هشام , علي فهمي , ط الاولى , طرابلس , ليبيا
	جدلية العلاقة بين الفلسفة والدين عند فلاسفة اليونان, د/ شرف الدين عبدالحميد دارالوراق للنشر والطباعة , الطبعة الأولى٢٠١٤ م
	الحرية المسؤولة في الفكر الفلسفي , سامي نصر لطف , مكتبة الحرية الحديثة
	خريف الفكر اليوناني ,د /بدوي , مركز عبدالرحمن بدوي للإبداع ,الطبعة الأولى ,١٩٤٣م
	الخصوبة والخلود في انتاج أفلاطون , الدار القومية العربية للطباعة والنشر , 1962 م

to pdf: www.al-mostafa.com

ربيع الفكر اليوناني , د/ عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات , الكويت , دار القلم , بيروت , لبنان , ط5

, 1979م

الشك في الفلسفة اليونانية أبعاده واتجاهاته عبدالسلام خطاب, جامعة القاهرة , 1993م.

العقل والوجود , يوسف كرم، مكتبة الثقافة الدينية, ط1 .

فجر الفلسفة اليونانية د /أحمد الأهواني , دار إحياء الكتب العربية , 1945م .

الفلسفة الاغريقية , محمد جديدي , الدار العربية للعلوم ناشرون , الجزائر , ومنشورات الاختلاف , الجزائر

الفلسفة الاغريقية , محمد غلاب , مطبعة البيت الاخضر , ط1 , 1938م

الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها, د/ توفيق الطويل, دار النهضة العربية, ١٩٦٧م

أمين , الهيئة العامة المصرية للكتاب ,2010م .

الفلسفة اليونانية , اميل بريهييه , ترجمة ,جورج طرابيشي , دار الطليعة , للطباعة والنشر , بيروت , ط2 ,

1987

قصة الفلسفة اليونانية , زكي نجيب محمود وأحمد أمين ,مطبعة دار الكتب المصرية ,القاهرة ,1935م.

الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون , د/ عزت قرني , جامعة الكويت , 1993م .

الفلسفة ومشكلاتها , محمد جلال شرف , مطابع الخليج , 1974م

قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقران , نديم الجسر , دار الامد البحيري اخوان طرابلس , 1961م

قصة الفلسفة الحديثة , زكي نجيب محمود , مطبعة دار الكتب المصرية , 1936م .

قصة الفلسفة اليونانية , أحمد أمين و زكي نجيب محمود , ط الاثمنة , مكتبة النهضة المصرية

مدخل لقراءة الفكر الفلسفي , مصطفى النشار , دار قباء للطباعة والنشر , 1998م .

م	المصدر او المرجع
	المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية , أولف جيحن , ترجمة : عزت قرني , دار النهضة المصرية , 1976م
	مشكلة الفلسفة , زكريا ابراهيم , مكتبة مصر
	المعجم الفلسفي , جميل صليبيا , دار الكتاب اللبناني , 1982م
	مقدمة في الفلسفة العامة ,يحي هويدي
	المنقذ من الضلال ,لأبي حامد الغزالي , تحقيق : محمد دبيجو , رجعه د/ محمد سعيد البوطي وشعيب الارناؤوط , الطبعة الثانية .
	موجز تاريخ علم اللغة , ر هـ روبنز , ترجمة د/ أحمد عوض , عالم المعرفة , الكويت , 1978م .
	موسوعة الفلسفة , الدكتور عبدالرحمن بدوي , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , 1984 م , الطبعة الأولى .
	موسوعة الفلسفة والفلاسفة, عبدالمنعم حفني , مكتبة مدبولي , الطبعة الثانية .
	نظرية المعرفة عند كمفكري الاسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين , محمود زيدان , دار النهضة العربية , بيروت
	نظرية المعرفة عند مفكري الاسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين , د/محمود زيدان ,مكتبة المتنبي , 2012م .
	نظرية لفلسفة الغربية , برتراند رسل , الكتاب الأول
	وهم الشطان , ديفيد بيرلنسكي , ترجمة عبدالله الشهري, مركز دلائل , الرياض , 1437هـ , الطبعة الثانية .
	حقيقة إخوان الصفا , د/ عادل العوا , الأهالي للطباعة والنشر , دمشق , 1993م , الطبعة الأولى .
	مقدمة في الفلسفة العامة , د/ يحي هويدي , دار الثقافة للنشر والتوزيع , 1989م , الطبعة التاسعة .
	الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها, د/ توفيق الطويل, دار النهضة العربية, ١٩٦٧م
	الموسوعة الفلسفية المختصرة , نقلها عن الإنجليزية , فؤاد كامل , وجلال العشري وعبدالرشيد الصادق , راجعها د/ زكي نجيب محمود , مكتبة الانجلو المصرية ,القاهرة .
	سير أعلام النبلاء , للذهبي , شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي, دار الحديث– القاهرة, 1427هـ–2006م
	هيراقليطس جذور المادية الديالكتيكية , ثيوكاريس كيسيديس , ترجمة : حاتم سلمان , المؤسسة الطنية للاتصال والنشر , الجزائر , الطبعة الثانية , 2001م .

ثانيًا: باللغة الإنكليزية:

	المصدر أو المرجع
	A Companion to Ancient Philosophy , Edited by :Mary Louise Gill and pierre pellegrin
	anto-Sperper (sous la direction), philosophiegrecque, p.91 Monique C
	C. Joachim Classen, "Aristotle's Picture of the Sophists," in G. B. Kerferd, ed., The Sophists and Their Legacy (Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1981)
	Cynthia Farrar, The Origins of Democratic Thinking: The Invention of Politics in Classical Athens (Cambridge: Cambridge University .Press, 1988)
	Edward Schiappa,: A Study in Greek Philosophy and Rhetoric (Columbia: University of South Carolina Press, 1991)
	EncyclopédieouDictionnaireRaisonné des Sciences des Arts et des Métiers, Nouvelle impression en facsimilé de la première édition de 1751-1780, vol. 15 (StuttgartBadCannstatt: Friedrich FrommannVerlag, 1967).
	Eric Havelock, The Liberal Temper in Greek Politics (New Haven: Yale University Press, 1957);.
	Eric Voegelin takes in Order and History, vol. 3, The World of the Polis (Louisiana: Louisiana State University Press, 1957)

Eric Voegelin, The New Science of Politics (Chicago: University of

Chicago Press, 1952), pp. 62-3; see also Voegelin, Order and

History, vol. 2, The World of the Polis (Baton Rouge: Louisiana

State University Press, 1957).

George A. Kennedy, A New History of Classical Rhetoric

(Princeton: Princeton University Press, 1994)

Gilbert RomeyerDherbey , Les sophists, Paris, P U F

J. A. Davison, "Protagoras, Democritus, and Anaxagoras," Classical

Quarterly 47 (1953).

J. Burnet, greek Philosophy, Thales to Plato, Macmillan London,

1914, reprinted, 1964

Jacqueline De Romilly, The Great Sophists in Periclean Athens,

Janet Lloyd, trans. (Oxford: Clarendon Press, 1992)

K. J. Dover, Greek Popular Morality in the time of Plato and

Aristotle (Berkeley: University of California Press, 1974).

K. J. Dover, Greek Popular Morality in the time of Plato and

Aristotle (Berkeley: University of California Press, 1974)

Laszlo Versenyi, "Protagoras' Man-Measure Fragment," American

	المصدر أو المرجع
	Leo Strauss, Natural Right and History (Chicago: University of Chicago Press, 1953)
	M. S. Silk, Aristophanes and the Definition of Comedy (Oxford: Oxford University Press, 2000)
	o Victor Ehrenberg, The People of Aristophanes: A Sociology of Old Attic Comedy (Oxford: Basil Blackwell, 1951).
	Paul-Bernard Grnet, Histoire de la philosophie ancienne
	Platon, Le Sophiste , (Euvres completes, Tome Vlll- 3e partie) , Twxteetabli et traduit par A uguste Dies , paris , Les Belles Lettres, 1925 ,22
	See Theodore Gomperz, Greek Thinkers: A History of Ancient Philosophy, vol. 1, trans. Laurie Magnus (London: John Murray, 1901)
	Sussex, 19820' Connor and Carr. Introduction to the Theory of Knowledge, PP. 1-2 The Harvester Press
	The Encyclopedia of Philosoph, edited by Paul Edwards, Macmillan, London, 1967, Vol. 4,p 345,art: Knowledge and belief
	The Encyclopedia ofPhilosophy, edited by Paul Edwards, Macmillan, London, 1 967, Vol. 4, P345,art: Knowledge and belief
	Geore Norlin, **Isocrates with an English Translation** (**Harvard University Press**,**1980**)
	Thomas Cole, The Origins of Rhetoric in Ancient Greece (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991)
	W. K. C. Guthrie, The Sophists (Cambridge: Cambridge University Press, 1971),

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمـــــة	3
خطة البحث	11
الفصل الأول:	12
المبحث الأول: .	14
المبحث الثاني: .	23
المبحث الثالث: .	29
الفصل الثاني:	47
المبحث الأول: .	50
المبحث الثاني: .	58
المبحث الثالث: .	65
الخاتمة	74
الفهارس	80
فهرس المصادر والمراجع	81
فهرس الموضوعات	126

B